الغد الجديد

مجلــة ثقافية أدبيـة اجتماعيــة

الغد الجديد.. العدد الأربعون.. السنة الثانية عشر.. تموز 2021

تصـدر عـن جمعيــة المنــار

المحرر المسؤول: محيي الدين خلايلة

هيئــة التحريــر:
علي قادري

سكرتيرة التحرير: سميرة خلايلة

ترسل المواد مطبوعة على
البريد الالكتروني
algad.aljaded@gmail.com
تلفاكس: 049081554
نقال: 0526876280
مجد الكروم، ص. ب. 151 رمز بريدي 20190

المواد الموقعة تعبر عن آراء أصحابها الإعلانات على مسؤوليـة المعلنين
المواد التي تصل الى الغد الجديد لا تعاد الى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

موقع مجلة الغد الجديد: www.almnnar.com

www.almnnar.com

محتويات العدد

فاتحة العدد 4

الغد الجديد

الشّاعر مرزوق الحلبي ضيف الغد الجديد 6

الغد الجديد

الفنّانة سعاد نصر وجاليري حيفا 18

الغد الجديد

«القضية الدرزيّة» تبقى الحقيقة حقيقة ويبقى التغيير فقط في التغيير 24

غالب سيف

بنو معروف لا يساومون على عروبتهم 32

محمد رمّال

رحابة الزُّقاق 36

إياد الحاجّ

توقيعات 38

رشدي الماضي

قراءة تأويليّة لقصيدة «الوقت» لأدونيس 40

د. هديل كيّال

اتّجاهات جديدة في أدب نجوى قعوار فرح 50

د. روز اليوسف شعبان

نحوَ جيل يربو على الانتماء والاعتزاز بالهويّة 74

شيرين تناصرة برغوث

فخّ الدّين السّياسيّ، معركة خاسرة 78

راضي شحادة

البصّة (الحلقة الثّانية والأخيرة) 84

محمد نجيب حسين

المعلّم الذي كان (إلى روح المعلّم محمّد نجيب حسين) 92

علي قادري

فاتحة العدد..

(1)

العدوان الأخير على قطاع غزّة والذي كان جولةً بين جولات عدّة في الخمس عشرة سنة الأخيرة من حصار مفروض على أهلنا في غزّة، حصار تفرضه إسرائيل بريًّا وبحريًّا وجويًّا بحرمان الفلسطينيّين في غزّة من أبسط شروط الحياة كالكهرباء والماء والتّجويع، بمنع الأدوية ومنع دخول المواد الغذائيّة والمواد الخام والمحروقات، بادّعاء الضّرورات الأمنيّة لتجفيف قدرات حماس العسكريّة واللوجستيّة. من نافل القول أنّ السّياق السياسيّ والتّاريخيّ هو سياق لممارسات الاحتلال في الضّفة الغربيّة وقطاع غزّة، ومنذ بدء العدوان على غزّة شهدنا تحرّكًا شعبيًّا وشبابيًّا واسعًا لدى الفلسطينيّين في القرى والبلدات العربيّة في إسرائيل وفي المدن المختلطة؛ وأبرزها أحداث اللّد التي شكّلت وقفة شجاعة في وجه أوباش المستوطنين.

من كان يرى بأنّ جذوة الانتماء الوطني والقومي لدى شبابنا قد انطفأت فهو واهم، فعلى مدار أيّام العدوان انتشرت وسائل الاحتجاج والمظاهرات التي وصلت إلى مواجهات ارتقى فيها شهيدان في اللّد وأم الفحم. وما هذه الانتفاضة الشّعبيّة سوى تأكيد على البديهيّات التي لا تقبل القسمة على اثنين، وهي أنّنا جزء حيّ وواعٍ من الشّعب العربيّ الفلسطينيّ حتّى لو جوبهنا بالموت نفسه، تلك هي الطّريق والبوصلة.

إنّ مسيرة نضال الشّعوب حافلة بالتّضحيات ومقاومة المحتلّ، وإنّ ما يحدث في الضّفة الغربيّة وخاصّة اغتيال النّاشط السّياسيّ نزار بنات أحد أبرز المعارضين في السّنوات الأخيرة لمشروع وبرنامج السّلطة الفلسطينيّة يشكّل منعطفًا حادًّا في سلوك الأجهزة الأمنية الفلسطينيّة والنّخبة السياسيّة في السّلطة التي تنتهج سياسة قاهرها في الاغتيالات، لأنّ الفساد الماليّ والسياسيّ لم يعد بالإمكان السّكوت عنه، تتوافق مشاريع برامج القمع التي تمارسها السّلطة مع برامج الاحتلال في القمع والسّطو والنّهب. كان قد أطلق ميشيل فوكو على هذه الظّاهرة القابليّة للاستعمار، حين يتبنّى المقهور أدوات قاهرة فيصبح نسخة عنه. كلّ المؤشّرات تقول بأنّ سلطة أوسلو قد أنهت دورها الوظيفيّ في أن تكون شرطيًّا للاحتلال، لأنّ تعميق الأبرتهايد داخل إسرائيل من خلال تشريع القوانين لفرض فوقيّة وهيمنة مجموعة الأغلبيّة يدفعها إلى تعميق الاستيطان والاحتلال وشنّ العدوان على غزّة وتحييد كلّ إمكانيّة الحلّ السياسيّ. إنّ ما وصلت إليه السّلطة الفلسطينيّة برئاسة محمود عبّاس تمثّل حالة بائسة في تاريخ الشّعب الفلسطيني ومسيرة نضاله، ناهيك عن حالة الانقسام البائسة هي الأخرى والتي تمثّل صراعًا فصائليًا على الزّعامة والتّحكّم بالموارد. لن يكون باستطاعة الفلسطينيّ أن يتحرّك ويتنظّم لمواجهة الاحتلال إلاّ إذا أزاح من وجهه سلطة الفساد والخيانة من طريقه.

(2)

انضمام القائمة العربيّة الموحّدة، الذّراع البرلمانيّ للحركة الإسلاميّة الجنوبيّة، للائتلاف الحكوميّ برئاسة نفتالي بينت الذي كان يتفاخر بعدد العرب الذين قتلهم وهو جنديّ، عبارة عن سقوط أخلاقيّ وسياسيّ سنحتاج إلى عشرات السّنوات لترميم هذا الفعل الرديء سياسيًّا وأخلاقيًّا. لقد وصلنا إلى مرحلة لا يمكن فيها أن نجمّل ونجامل، وأن نفكّر بمنطق الرّعايا اللّاهثين خلف فتات الميزانيّات من أجل تسيير اليوميّ على حساب قوميّ، والآنيّ على حساب الآتيّ. فكرة المقايضة السّياسيّة التي انتهجتها الأحزاب الحريديّة في إسرائيل هي ليست بعيدة عن الفكر المنفعيّ الذي تقوده الموحّدة في السّنة الأخيرة بانسلاخها عن القائمة المشتركة. قد يسأل سائل ألم توصي المشتركة على بنيامين غانتس مرّتين، فما المانع أن يكون العرب جزءًا من الائتلاف الحكوميّ ويحرّكوا بيضة القبّان ويكونوا مؤثّرين في الحلبة السّياسيّة؟

لا يمكن لوم النّاس والجماهير التي انتخبت القائمة الموحّدة، ولكنّ النّقد موجّه بالأساس للقيادة السّياسة التي نادت ببرنامج التأثير دون الرّبط بين التأثير كأداة إطار الغاية الأولى وهي تغيير بنية النظام السّياسيّ في إسرائيل، هذا إذا كنّا نتحدّث برلمانيًا. لكن الاجدى كان هو عدم زرع الأوهام لدى الجماهير بأنّ العرب سيستيقظون في الأشهر القادمة على واقع من المساواة والعدل والحريّة. تحتوي الكنيست الحالية على أكثر من 75 عضو كنيست من اليمين، ولكن أزمة اليمين سببها شخص بنيامين نتنياهو، حين يخرج من الحلبة السياسية، لن ترى احدًا يلهث وراء الموحّدة أو المشتركة، كلّ ما في الأمر أنّ نتنياهو شكّل عقبة لتشكيل حكومة يمين واسعة، وهو بالمقابل الذي أعطى شرعيّة للموحدة في الحلبة الإسرائيلية حين فاوضها سرًّا ولولا سموطرتش لكانت الموحّدة اليوم جزءًا من ائتلاف حكوميّ برئاسة نتنياهو نفسه. وهذا الائتلاف كان هو الأكثر قبولا لدى الموحّدة على اعتبار أنّه الأقرب إليها في الطّرح الاجتماعيّ.

لقد ذهب الموحّدة برئاسة منصور عبّاس بعيدًا، في حالة معقّدة، تظنّ أنّها قادرة أن تمشي بين النّقاط في موقعها داخل الائتلاف الحكوميّ، وسط الكثير من القضايا المتناقضة والتي لا يُفهم كيف يمكن ان تكون الموحّدة جزءًا من التوقيع والمصادقة على بناء وحدات استيطانيّة جديدة في الضّفة الغربيّة. إنّ تغييب القومي لحساب المدنيّ والانسلاخ الكامل عن أيّ نقاش سياسيّ وطنيّ وعدم ربط المدنيّ بما يحمله من مشاكل العنف والجريمة، البناء وهدم البيوت، الفقر والأوضاع الاقتصاديّة الصّعبة، السّلطات المحليّة العربيّة، قضايا النّقب، وربط كلّ ذلك بالبُعد القوميّ الذي سيبقى حائلا دون التّقدّم في أية قضية بشكل جديّ.

إنّ اعتراف الشّرطة الأخير بأنّ يديها مقيّدتان في أن تقوم بأية خطوة ضدّ عصابات الإجرام لأنها تتمتّع بحصانة من جهاز الشاباك لأنّهم فعليًا واقعون في فخّ العمالة والتعاون مع الشاباك، يؤكّد أنّ كلّ قضية مدنيّة مهما بلغ حجمها مرتبطة ببنية هذه الدّولة السياسية ونظامها العنصريّ والفوقيّ.

لن يدوم وقت طويل حتّى تدرك الجماهير العربيّة حجم الكارثة والخيبة في الخطوة التي قامت بها الموحّدة برئاسة منصور عبّاس.

أسرة الغد الجديد

الشّاعر والنّاقد والمثقّف

مرزوق الحلبي

ضيف الغد الجديد

يشتغل مرزوق الحلبي من اللغة وفي اللغة، فلا يضبط إيقاعها، بل يمنح لها أكثر من رئة لتتنفّس خارج أصفاد المعاجم والبلاغة الرّتيبة، فتصير جامحة كخيلٍ في فضاءات رحبة، تتغنّج على مهلها.

يكتب مرزوق الحلبي من عمق الثقافة العربيّة، ويغرف من أصالتها، والثّقافة بوصفها المعادل الموضوعي للحياة الباحثة عن جوهر الأشياء، لتعيش وتغنى وترحب بالعقل لبلوغ الغايات القصوى. فالأصل عنده هو شرط الوجود بلا أدنى شكّ، ولكنْ، متحُ الأصلِ إلى المستقبل هو شرط الإبداع بالضرورة، وفي هذه العملية المدهشة التي يقوم بها، نراه يكتب عن اللغة والتّدريس الذي يحنّطها، ويكتب عن شرط الحريّات من دواخلها، ويقف في صفّ واحد مع كلّ المستضعفين والمقهورين، ولكن في محاولة لتأليبهم على واقعٍ ليس قدرًا، ويعيش مرزوق اليوم خارج قفص الأيديولوجيات، ولكنّه لا يعاني من عجز في توظيف الأيديولوجيات والمنظومات الفكريّة إلاّ لغاية واحدة وهي ما يوسّعُ ضيِّقًا على الإنسان.

مرزوق الحلبي يطمح لأن يرى الثقافة الفلسطينية في مكان ومكانة تليق بعدالة هذه القضيّة، ليس قضيّة الأرض والسيادة بمعزل عن الإنسان الفلسطيني الذي يريد، فلسطينيّ لا يتماهى مع سلوك قاهره، بل يكون قادرًا على إنتاج روايته وسلوكه الاجتماعيّ والثقافيّ وإنتاج أدواته المعرفيّة وعقده الاجتماعيّ.

مرزوق الحلبيّ يعالج الشّعر وقضاياه بالشّعر المصفّى، فلا تربكه الحداثة ولا التّراث، بل هو يشقّ معانيه الشّعريّة من خلال مداواة الذّات باللغة، ومن خلال سبر أغوار الضّحايا مدافعًا عن حقّها بالوجود والتّعبير، فلا شعر عنده ولا ثقافة ولا سياسة ولا فكر بقطيعة مع المعادل الأخلاقيّ.

يسرّنا في مجلة الغد الجديد أن نستضيف الشاعر والصّحفيّ والنّاقد والمثقّف الأستاذ مرزوق الحلبي.

السؤّال الأول: لو تحدّثنا أولاً عن مشاريعك الأخيرة، وخاصّة تأسيس «دار النّشر- جدل» في السّنوات الأخيرة وتخصيص صفحتها في فيسبوك لنشر الجمال، شعرًا وموسيقى وفنًّا تشكيليًّا، ملاحظين أنّك تحرص كثيرًا في تحريرك للصفحة على تسليط الضوء على الثقافة الفلسطينيّة برمّتها، كيف تقيّم هذه التجربة؟

مرزوق الحلبي: «أسّست دار النشر كإسهام متواضع منّي في نشر الأدب النوعيّ. وأنا لا أزال في بداية الطريق. بنيت رؤيا الدار بناء على مشاهداتي وقناعاتي حيال المشهد الإبداعي برمّته ـ «جهة» ما أو «شخص» ما ينبغي أن يقوم بمهمّة الغربلة إذا صحّ التعبير. الكثير ممّا يُنشر عندنا ليس أدبا قطعًا وليس بينه وبين الأدب «قُولة» مرحبا ـ كما نقول بالمحكية. ومع انعدام النقد أو مع وجود الكثير الكثير من الشِلَلية والعلاقات العامة ـ أخذت على عاتقي أن أقدّم من خلال دار النّشر وصفحة جدل نوعية أخرى. وأن أفتح ما يُمكن من شبابيك على نواحٍ ثقافية خلّاقة هنا وفي غيره من أمكنة.» هذه الرؤيا كلّفتني إلى الآن بعض الصداقات وبعض العلاقات ـ وهذا خيار واعٍ منّي. ببساطة ـ هناك مَن ينبغي أن يُدافع عن الأدب وعن الشعر وعن الأغنية وعن الفنان المبدع في وجه ظاهرة الانتحال ـ وهي أوسع مما يتصوّره واحدنا. حالة ثقافية قائمة على الانتحال، ينتحلون الشعر والرواية والقصّة والأدب، وينتحلون الفنّ التشكيلي والغناء والموسيقى. أما ما يدلّني على الانتحال هو هذا الصّوت العالي من التبجّح وهذا الضجيج حول إصدارات يُمكننا وصفها بأنها تجسيد للتّفاهة ـ تُقام لها «المهرجانات» والعروض التي يتعب مخرجون على إخراجها ودعوات وعَشوات وفساتين أمسيات (لن أستبعد تخصّصا كهذا في فرع الأزياء) وما إلى ذلك تعكسها الشبكات كأننا حيال «مدن الملح» للراحل منيف» أو «مقدّمة ابن خلدون» جديدة ـ في حالة ثقافية استعراضية تمامًا تقوم على اختراع النجوم وتسويقهم ـ تصير الحاجة إلى أدب وإبداع ذي معنى حاجة حارقة. هذا ما تجسّده دار «جدل» وصفحة «جدل» في الفيسبوك. لدينا مشاريع غير مسبوقة سنُعلن عنها في حينه. وهي تقوم على التشبيك بين الأنواع الإبداعية وعلى فرضية أن الثقافة

هي مُجمل ما تأتي به جماعة ما وليس إنتاجها الجميل فقط».

السؤال الثاني: دكنت قد كتبت عند صدور كتاب طيّب الذّكر قيس فرّو «العرب الدروز من المحراث الفلسطيني إلى البندقيّة الإسرائيليّة» مداخلة طويلة، وقد حاولتَ أن تجمل العوامل التاريخيّة والسيكولوجيّة والثقافيّة للحالة التي يعيشها العرب الدروز في فلسطين، لو أردنا أن نعيدك إلى هذه المداخلة، كيف يقيّم مرزوق الحلبي اليوم وجهة العرب الدّروز في إسرائيل، خاصّة بعد قانون القوميّة؟

مرزوق الحلبي:" هذا سؤال في غاية الأهميّة ولو لأنني أنا نفسي أقول أنّ أهمّ ما حدث لدروز فلسطين في السنوات الأخيرة هو صدور كتاب الصديق الراحل قيس فرّو وتشريع قانون القومية. يترابط الحدثان على نحو ما. كتاب قيس يلخّص مرحلة 8 عقود من علاقة الدروز بالمجتمع اليهودي والحركة الصهيونية. أما تشريع القانون فيشكّل بداية لتقويم آخر في هذه العلاقة. أو يمكننا تقسيم هذا «التاريخ» إلى ما قبل قانون القومية وهو ما يستعرضه ويلخّصه كتاب فرّو. وما بعد القانون ودلالاته. وهو ما سيكون على رفاق قيس أن يتابعوه ـ وقد بدأتُ بوضع دراسة تحليلية تكمّل كتاب قيس من حيث انتهى وفي ضوء حواراتي ومشاهداتي في إطار احتجاجات الدروز على قانون القومية بما فعلوه وكتبوه وقالوه.

"يعيش الدروز شكلا من أشكال المحنة الوجودية ـ والمحنة ليست خيارًا كما يعتقد البعض. هي وليدة ظروف قهرية وسياسات وجهد، نتيجة ممارسات أيديولوجية مؤدّاها كان جعل الدروز دروزًا لا عربًا، مرتبطين بالمركز الصهيوني ـ الإسرائيلي عوضًا عن مركز الانتماء العربي المشرقيّ. المحصّلة أنّ العرب الدروز في فلسطين يعيشون وجوديًّا بين خيانتيْن: خيانة دولة إسرائيل لهم من حيث تعاطيها معهم في جوهر وجودهم هنا على أنهم جزء من أهل البلاد الأصليين، تمّ مصادرة أراضيهم وتحويل بلداتهم إلى بلدات تفجّر سكّاني بالفعل أو بالاحتمال وشدّهم إلى مركز القوّة كجماعة مرتزقة. هذا الجانب يستعرضه قيس فرّو في كتابه الفاصل، من خلال تتبع السّياسات الإسرائيلية الرسمية من الثلاثينيات من القرن الفائت حتى إلى ما قبل قانون القومية. وقد رصد «الأساطير» التي أنشأها الخطاب الصهيوني عن الدروز وفعلت فعلها بحيث صدّقها الدروز أنفسهم، أيضًا. فهو يُفنّد بالوثائق ادّعاء إسرائيل الرّسمية أنّ الدّروز إنّما أرادوا أن يتجنّدوا وطلبوا التجنّد ـ هذه كذبة كبيرة والمشكلة أنّ لها ضحايا إلى يومنا هذا. الدروز رفضوا بغالبيتهم الساحقة التجنيد (وقبله عرب آخرون عندما فُتحت مكاتب التجنيد في بعض البلدات العربية) واضطرت السّلطة إلى سلسلة إجراءات قاسية وتشريعات و«ضربات» لكسر شوكة الرفض. وعدد الدروز يومها لم يزد عن 15 ألف نسمة. هكذا يتصدّى الكتاب إلى «أساطير» تكوينية أخرى وينسفها ويدعو إلى المراجعة الجريئة لها. أما تشريع قانون القومية فيؤكّد رواية فرّو في كتابه وأنّ ما حصل هو أنّ إسرائيل الرسمية تستعمل الدروز كأشياء ومواضيع ولا تتعامل معهم كذات ثقافية أو مواطنين متساوين أو أي شيء من هذا القبيل. قصد قيس تخليص الدروز من سطوة التحريف التاريخي الذي وضعته المدوّنة الصهيونية عنهم. في الشّقّ الثاني من الخيانة ـ كنتيجة لسيرورة الشقّ الأوّل ـ هو أننا وصلنا إلى وضع يرى فيه العرب الآخرون إلى الدروز على أنهم «خون»، أي خانوا أمّتهم العربية وانتماءهم بسبب موقعهم كمرتبطين بمركز السلطة الإسرائيلي على ما يعنيه من عدوان واحتلال ومعاداة للمحيط العربي ـ هذا بشكل عام رغم وجود تحوّلات لافتة تُحيط بهذا

المشهد في السنوات الأخيرة.

هل غيّر قانون القومية من هذا؟ ربّما لكنني أرى أنه عمّق هذه الحالة الخاصة وأوضحها بحيث أنّ النُخب اليهودية في تشريعها القانون إنما جعلت الدروز «مرتزقة» مكشوفين لنظام أبرتهايد وزجّتهم في خانة البِك ـ كما نقول. هم في وضع كأنّ لا خيار لهم فيه سوى أن يذوبوا أكثر في مركز القوة الإسرائيلي الجديد الذي أعلن نواياه وانسحب كلّيا إلى إدارة الصراع وانسحب من فكرة تسويته. في الخلفيّة شعور لدى النُخب في المجتمع الدرزي أنّ الدّولة خانتهم مرّتين ـ مرة عندما فصلتهم عن انتمائهم ووعدتهم بالجنة ـ التي اتّضح أنّ فاكهتها مرّة. ومرة بأنها أعادتهم بواسطة قانون القومية ليكونوا عربًا ـ وهناك لا تنتظرهم الجنّة ولا فاكهتها.

هذا الوضع «مأزق وجوديّ» حقيقيّ. سينعكس اغترابًا في الإقليم وعن الذات وسلوكيات طاردة عن الهوية العربية (غير الواضحة في الظروف الراهنة) عند الأفراد والمجموعات فيها. أقول هذا وفي الخلفية أفول المراكز العربية والعروبيّة وانكساراتها بفعل الثورات المضادة التي تعمّق مآزق الجماعات والأقليّات. ولو أنّ وضع دروز سورية ولبنان في عافية لانعكس ذلك على العرب الدروز هنا، كما في الماضي، المحنة هناك تنعكس على تعميق المحنة هنا. نحن حيال مآزق مشابهة للعرب الدروز في المشرق العربيّ. وهذا ما يُقلقني وأستشرف منه سيناريوهات غير مستحبّة ـ في أقلّ تقدير.

السّؤال الثالث: الحركة الأدبيّة في فلسطين، وبعد رحيل الكبار. هل ترى بأنّ العافية بدأت تعود إلى روح الشّعر والأدب الفلسطيني بمقترحات أدبيّة وجماليّة جديدة، أم أننا لا زلنا نشهد ظلال الكبار على جيل الصغار؟

مرزوق الحلبي: كصاحب دار نشر يُتابع المشهد وكمشارك في رسم معالمه، أستطيع أن أقول بكلّ ثقة، أنّنا حيال جيل جديد من الكبار ـ إذا صحّ التعبير. هناك وعي غير مسبوق لأهميّة «الثقافيّ» في حياتنا. وهو في رأيي أهمّ من «السياسيّ». بل مع تهافت السياسة وضمورها معنويا وأيديولوجيًا أرى بوضوح دور «الثقافيّ» في حفظ الهويّة الجماعية وصيانتها وتطويرها لجهة انفتاح وتعدّدية. هذا الجانب المُضيء الذي يجعلنا نرى أصواتا شعريا وأدبية جديدة ونوعيّة، وهو ما يُمكن أن نقوله عن حركة الإبداع في مختلف المجالات والحقول. خُذ الفنون التشكيلية وقِس على ذلك. إنها نهضة حقيقيّة تعوّضنا عن فقدان الكبار. هناك إنتاج إبداعيّ في مستوى لا يقلّ عن مستوى الكبار خاصة وأن جيلا جديدا من المبدعين والمبدعات درس الفنون الكتابية والمرئية والمسرحية واكتسب خبرة وانفتح على العالم ويُنتج إنتاجا أصيلًا. ليس صعبا أن أذكر أسماء لمعت في السنوات الأخيرة لكني أمتنع عن قصد كي لا يُفهم كلامي على أني أحصر الحديث في مجموعة دون أخرى. هذا لا يتناقض مع ما أشرت إليه من «إبداع استعراضي» يسير في خطّ موازٍ مع حركة إبداع حقيقيّة. صحيح أنّ للإبداع الاستعراضيّ صوتًا مدوّيًا وضجيجًا أكبر لكني كمتابع مخضرم ـ منذ عملت في تحرير «الاتحاد» منذ النصف الأول من الثمانينيات ـ أستطيع القول إنني أرى أفقًا مفتوحًا لحركة الإبداع عندنا. من هذا الكمّ الهائل من نشاطات وفعاليات إبداعية أرى نوعية طالعة كينابيع الماء التي تصنع الواحات والجداول والوديان الخضراء. نحن في طريقنا إلى التعافي من الرضّات ومن الانهيارات ـ وهي انهيارات تفد إلينا من خارجنا في غالبية الأحيان. وعلينا أن نرى في

هذا التعافي على صعيد الإبداع نوعًا من مقاومة ومن تعبير عن رغبتنا في الحياة الجميلة التي نستحقّها.

السؤال الرابع: من خلال متابعتنا لمنشوراتك في صفحتك ومقالاتك المنشورة، نلاحظ أنّك تركّز كثيرًا على عوامل الفشل والنّجاح في الثقافة العربيّة، وحتى أنك تعود إلى «المدوّنة العربية التي تحاول تقصّي قصور الاجتماع العربي، ما هي أبرز عوامل الفشل في رحلة الثقافة العربيّة؟

مرزوق الحلبي: هذا سؤال المليار دولار. لو كنت أملك جوابه المؤكّد لاقترحته على المشرق العربيّ وارتحت وارتاح هو. وعليه، سيكون جوابي هو في حكم الرأي المحكوم للنقض ومجرّد اجتهاد أضيفها لاجتهادات سبقتني لكبار المفكرين العرب من المشرق والمغرب. أحكي ما أحكيه بعد أن كنتُ مررت على مشاريع نقدية لمحمد أركون ومحمد عابد الجابري وهشام جعيّط وجورج طرابيشي والهادي المنجرة والعروي وبرهان غليون وغيرهم، وبعد أن راجعت مُخرجات حركة النهضة العربية من قبل وهكذا. لقد عصفت بي كعربي من هذه الأمة حرب الخليج الأولى وعكفت على تتبّع الإجابات على سؤال شكيب أرسلان من مطلع القرن العشرين «لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم غيرهم؟. سؤال صار أصعب اليوم بعد حصول الاستقلال العربيّ من الاستعمار وبعد امتلاك الزمان والمكان العربيّ بمعنى السيادة على المصير ــ على الأقلّ بعد الاستقلال وقياد الدولة القُطرية العربيّة وظهور مشاريع النهضة على مستوى الأوطان. في العمق أقدّر أن المدوّنة العربية بما هي أنساق قابضة أجهضت العقل العربيّ. أو كما يقول أستاذي جورج طرابيشي «النصّ أجهض العقل وانغلق عليه إغلاقًا مُحكما منذ نهايات العهد العباسيّ». عندما صار العقل العربيّ أسير النص الديني بشقّه الخُرافيّ ــ الحديث ــ انتكسنا كأمّة. عندما توقّفنا عن تطوير قدراتنا المعرفيّة وأدرجناها ضمن لغتنا انتكسنا. عندما ظلّت اللغة جامدة منذ القرن الرابع الهجري على اعتبار قدسيتها ونهائيتها ــ انتكسنا وتوقّفنا عن إنتاج ما نحتاجه من معارف كي نرتقي. خُذ مثلا العلوم الاجتماعية في الثقافة العربية ــ هي علوم قاصرة تمامًا عن إدراك الاجتماع الحديث ومتطلّباته. علم لا يتناسب مطلقا مع الدولة الحديثة ومتطلّباتها رغم كل محاولات تجميل الإرث الإسلامي إلّا أنه لا يحلّ أبدا لا مشكلة الفقر الحديث ولا مشكلة التداول على السلطة بشكل سلميّ ولا ألف مشكلة من مشاكل المجتمعات في شكلها الحديث. بمعنى أن تخلّف علوم الاجتماع العربية هي إخفاق دفعنا ثمنه على شكل فشل مشروع الدولة العربية حيثما نظرت حولك.

أمر آخر علينا أن ننتبه إليه هو في صلب الاجتماع وهو البُنية الاقتصادية للاجتماع العربي ــ بتفاوت من مكان لمكان ــ التي ظلّت قاصرة عن حمل الاجتماع ونقله إلى المرحلة البرجوازية من الزراعة والاقطاع والقبيلة. من مرحلة الإنسان الديني إلى مرحلة الإنسان المدنيّ. فالمدن العربيّة التي ازدهرت وانفتحت في القرنيْن التاسع عشر والعشرين انتكست وتريّفت تماما. والمدن هي التي تحمل على كتفها عبء التحديث والتطوّر الاجتماعي. هكذا في كلّ مكان في العالم. هذه المدن تريّفت تمامًا بما فيها القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد في المشرق العربيّ وتونس والجزائر والرباط وغيرها من مراكز مدينية في المغرب العربيّ. هذا التريف عكس عدم القُدرة على الانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي أو التحويلي في بنيته الاقتصادية. وهذه نتيجة سياسات وطنية فاشلة لا سيّما تلك المتّصلة باقتصاد العالم وما أسميناه في العقود الأخيرة بالعولمة المنقضّة على مواضع الضعف لاستثمار أزماتها ــ كما يحصل في الوطن

تست
في عكا
ترخيص سيارات
فحوصات سيارات
مختبر للسيارات قبل الشراء
وبعد حوادث الطرق
تصليح كافة أنواع السيارات
كل عام وانتم بخير
مهنية
جودة
أمانة
شفافية
سرعة
نتقدم باحر التّهاني وأجمل الأماني والتبريكات عموم المحتفلين
بشهر رمضان المبارك
وعيد الفطر السعيد
اعاده الله على الجميع بالخير واليمن والبركات وكل عامٍ وأنتم بخير
المنطقة الصناعية-عكا
منير عطا الله-المدير العام نقال: 0536606602 هاتف: 049568223/4 ايميل: kfaryarka@gmail.com

العربيّ منذ جمود الدولة العربية. فكيف للجزائر الواعدة في الستينيات أن تنكسر على حدّ الحرب الأهلية وتضيع مواردها وإمكاناتها؟ وكيف للبنان أن يسقط ـ بيروت التي صدّرت الثورة والحريّة تموت في قبضة الدجل الديني والشعاريّة القابضة على روح بلد كامل؟ وكيف لمصر الناصريّة والمنتفضة أن تعود القهقرى بهذه السرعة؟ وهكذا في العراق.

الخليج العربي حالة مغايرة قليلا بسبب وجود النفط والغاز كمورد يُمكن أن يشتري كلّ شيء بما فيه البريق واللمعان والعمالة الأجنبيّة والهدوء. ربّما أنّ الطّفرة النفطية ساعدت العشائر القوية على ضمان مستوى كبير من الرفاهية لقطاع واسع من الناس لتضمن ديمومتها. أو لنقل ذلك بشكل أكثر تفكيكا: الاقتصاد الريعيّ غير المركّب القائم على عقلية تجارية استطاع أن يصمد بوصفه اقتصادا مستقرًّا لأنّ السوق العالمية لا تزال بحاجة إلى النفط والغاز المتوفريْن بغزارة في هذه البُلدان. هذا كلام عام لا ينفي وجود ثغرات.

على مستوى آخر، فإنّ مراكز القوة العالمية لا تزال معنيّة بكلّ الإقليم العربيّ من مغربه إلى مشرقه وتحاول أن تستفيد من التّواجد فيه، مرّة كشريك في التّجارة ومرّة كمستعمر من بعيد ومرّة كمحتلّ كما في سورية الآن ـ وهذا، أيضا، من عوامل القصور العربي العام.

على العموم، لن تتحقّق النهضة العربية دون حركة إصلاح جذريّة في روح الثقافة العربية وهي «الإسلام العربي» إذا صحّ التعبير. باتجاه المصالحة مع العالم الحديث بدل الصدام معه. باتجاه المصالحة مع الذات والتاريخ والرواية ـ ليس كلّ شيء في التاريخ الإسلامي كان مُشرقا ولا هو في عداد الانتصارات والإنجازات. في هذا التاريخ درس واضح وضوح الشمس ـ فقط بالانفتاح والتقبّل والتعددية والاكتساب تكتمل الثقافة وتتسع. النهضة العربية غير ممكنة ولن تُستأنف دون الخروج من مدوّنة القداسة واللاهوت والأساطير. العقل بدل النقل والإبداع بدل الاتّباع. الحلّ هو في العقل البشريّ وإطلاقه على مداه لا في الغيب والخرافة. وإلّا كيف نفسّر إبداعات الأفراد العرب وخدمتهم للدول الغربية الحديثة في شتّى المجالات في إطار هروب الأدمغة وتهافت المعرفة في الدول العربية لصالح المراكز الغربية. يُمكن أن يحدث هذا فقط في حال اعتماد خيار القطيعة مع تُراث يبدو لي عقيما بحكم التجربة وقاصرا بحكم مضامينه عن إنتاج المجتمع الحديث وإدارته ـ ليس كما يُحدّده المركز الغربي غير البريء كليًّا من المسؤولية عن حالة العرب ـ بل كما يليق بالإنسان وأسباب سعادته ومنها ضمان الحرّيات وإقامة العقد الاجتماعي من جديد بروح مبادئ صالحة للغربيّ والعربيّ على حدّ سواء ـ المساواة للجميع، دولة المؤسّسات وسلطة القانون والفصل بين السّلطات وحدّ كبير من العدل العقلي الإنساني لا الإلهي الموهوم. أقول هذا في عزّ أزمة الديمقراطية التمثيلية في العالم وفي الخلفية ما أحدثته العولمة للسيادات الوطنية ومفهوم الديمقراطية كما جُرّبت في العالم في العقدين الأخيريْن. هناك نماذج ناجحة أو معقولة في العالم ـ ليست مدينة الفارابي الفاضلة ولا جمهورية أفلاطون لكنّها توفّر للإنسان قدرا كبيرا من السعادة المادية والروحية. وهذا ممكن في اعتماد سياسات بهذا المعنى وهذا الاتجاه. عندما نقرأ خارطة الاستثمارات في الدولة العربية نفهم من أين يأتي الخلل. كثيرة هي الدولة العربية التي كانت تستثمر أقلّ من 1% من ناتجها القومي في البحث العلمي التطبيقيّ! ومعدومة هي الدولة العربية التي أطلقت

تعلن عن بدء التسجيل
للسنة الدراسية 2021/2022

كلية سخنين (ج.م)
كلية أكاديمية لتأهيل المعلمين

لقب أول B.Ed.

- المسار الفوق إبتدائي: لغة انجليزية، رياضيات
- المسار الإبتدائي: لغة انجليزية، لغة عربية، رياضيات، علوم
- مسار التربية الخاصة
- مسار جيل الطفولة المبكرة

مسار الممتازين

في جميع مسارات وتخصصات اللقب الأول.
3 سنوات تعليم بدل 4 سنوات وإعفاء كامل من الأقساط التعليمية على مدار 3 سنوات بالاضافة لمنح تعليمية

لقب ثانٍ M.Ed.

- إدارة وتنظم أطر تربوية
- إستشارة تربوية
- تقييم مدرسي
- عسر تعلّمي تشخيص وعلاج

ماجستير في التربية M. Teach

- لقب ثانٍ + شهادة تدريس في آن واحد في التخصصات التالية:
رياضيات - حاسوب - انجليزي

السنة التحضيرية

ليس بحوزتك شهادة بجروت؟!
يمكنك الإنضمام للسنة التحضيرية كبديل عن شهادة البجروت

التميّز يبدأ من الكلية الأكاديمية سخنين

- إمكانيات عديدة لمنح تعليمية كاملة تصل حتى **100%** من قسط التعليم
- التعليم في فترة الكورونا عن بُعد، عبر منظومة الـ **ZOOM**
- إمكانية **التسجيل** عن بُعد عبر الموقع الالكتروني للكلية:
www.sakhnin.ac.il

للإستفسار والتسجيل: 04-9058000 | sakhnin.ac.il

الحريات البحثية والأكاديمية. الثقافة العربية هي جملة من المعارف المتقادمة الجامدة غير النافذة في هذا العصر. هذا هو الخلل الأساس. إجابة طويلة بعض الشيء لكنّها قصيرة جدًا بالنسبة لسؤال كهذا.

السّؤال الخامس: توجّه نقودك التي لا تُحابي للقوى السياسية الفاعلة عندنا وفي مواقع أخرى. لا ترحم أحدًا من القول النقديّ. من أين تأتي أفكارك النقدية، منابعها؟ كيف يمكن أن يتمّ إعادة الاعتبار للسياسة المحليّة و لعمل الأحزاب السياسيّة، وهل ترى أنّ هناك إمكانيّة لتنظيم المجتمع الفلسطيني في الداخل خارج دوائر الأحزاب؟

مرزوق الحلبي: تأتي مادتي في العموم من اجتهاداتي وأنا طالب معرفة في المدرسة الثانويّة. في هذه الفترة بنيت مكتبة بيتنا من جديد واضفت إليها مئات الكتب في سنوات قليلة أصبحت فيما بعد الآلاف من الكتب باللّغات الثلاث. كنتُ سجنتُ فقرأت مكتبة السجن وتعلّمت فنّ القراءة واكتشفت دهشة المعرفة وغنى التعددية في الاهتمامات. ثم درست الأدب والعلوم السياسية والقانون وعملت في مجالات اضطرتني إلى مزيد من الدراسة المنهجية ـ الاستشارة التنظيمية ومنهجيات الاستشراف والدراسات المستقبليّة. انطلقت من المنهج الماركسيّ وواصلت الرحلة مرورا بعلم النفس الاجتماعي والعولمة والأخلاق. من هناك آتي بأدواتي للفهم والتفكيك ومن معرفتي للإمكانات والبدائل. وأقوم بمهماتي هذه من فهمي لدور المثقّف في تفكيك مباني القوة ونقدها ومقاومة السلطة ـ كل سلطة ـ الاجتماعية والذكوريّة والسياسية والفكرية والاقتصادية والمعرفية والدينية. هذا من منطلق التطلّع إلى التّحرير والتحرّر في كلّ مستوى ممكن. من الخُرافة ومن الشّرط القابض على روح المجتمع وأفراده. تحكمني فرضية أنّ العدل أولى الفضائل ومنها تُشتقّ منظومة قيم وأخلاقيات متكاملة. هذه هي البوصلة.

بالنسبة للشقّ الثاني من سؤالك ـ السياسة في مفهومي هي أدوات الإنسان في تدبير الاجتماع البشريّ ضمن دولة أو كيان أقلّ من دولة أو أكبر. عندما تتغيّر وظائف السياسة وتنحرف في دورانها عن هذا المحور ستؤدّي إلى غير ما افترضناه. وأعتقد أن ما حصل للسياسة عندنا هو انحراف عن المحور الأساس. خاصة عندما يتمّ التعامل مع مُنتج أرضي بلغة سماويّة. أو عندما يتمّ التعامل بشكل غير عقلاني مع أدوات من المفروض أن تكون عقلية. على العموم التغيير في وظائف السياسة حصل في كل العالم وليس عندنا فقط بفعل متغيرات في الاجتماع البشري الذي صيغ في دولة حديثة ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر ويُمكن أننا في عزّ سيرورة صياغته عولميًا باتجاه ضعف الدول وتعزيز مكانة الشركات ومراكز القوى العالمية بفعل نظام السوق الحرّة الذي يحكم العلاقات ويصمّمها بما تخدمه لتحقيق الحدّ الأقصى من الربح. مثال واضح على هذا أنّ شركات كثيرة في العالم أقوى من أنظمة ودول في التحكّم بسلوكيات الناس اليومية والسياسية. أو أنّ هذه الشركات صارت أقوى ألف مرة في تحديد سياسات وطنيّة في أصغر الأمور وأكبرها. بمعنى أنّ السياسة في مبنى قوة كهذه تأخذ معاني مغايرة أو أنّ الأحزاب ـ التي ضعفت في كلّ العالم وتداعت ـ مطالبةٌ بإنتاج نفسها من جديد.

هذا ما حصل عندنا على نحو ما. تغيّر الشرط دون أن تتغيّر الأحزاب. تغيّرت السياسة دون أن يتغيّر العاملون فيها. انهارت عقائد وأيديولوجيات أو انكسرت على محور التاريخ الأمر الذي كان يفترض مراجعة أو مساءلة الذات السياسية لنفسها. لم يحصل عندنا أيّ نوع من المساءلة بل حصل العكس

* مكتب ترخيص وفحص جميع أنواع السيارات
* إعادة السيارة بعد الحادثة إلى الشارع
* كراج لتصليح جميع أنواع السيارات
* بيع إطارات حتى 60 % تخفيض
* خدمة 10000 كم
* خراطة وتصليح فرامل في المكان
* خبرة غنية، أمانة ومصداقية
عيد اضحى مبارك
مكتب الترخيص يركا
טסט ביركא
تست في يركا
كل عام وانتم بخير
نتقدم باحر التهاني بمناسبة حلول
عيد الأضحى المبارك
اعاده الله على الجميع باليمن والخير والبركات
يركا – الشارع الرئيسي هاتف : 04996997 / 049962278

تمامًا. دخلت العقائد في خنادقها وواصلت حربها الخاسرة ضد التاريخ. أمّا الإسلام السياسيّ الذي اعتُبر مخلّصًا ومُنقذا فتحوّل في كثير من المواقع إلى تجسيد للأزمة ـ أزمة الموديل والمنهج ـ وتعميق لها على كلّ المستويات. هكذا الإسلام السياسيّ عندنا، أيضا. خاصة «الموحّدة» التي هربت من استحقاقات السياسة ـ وفيها جانب دفع الأثمان ـ إلى أرباح السياسة فقط ومحاولة قبض أثمان المشاركة السياسية. بمعنى أنها جعلت للسياسة وجها واحدا هو الربح فقايضت هويتها وتاريخها وجماعتها ببعض ملايين قد تكسبها ـ وهو كسب غير مضمون البتّة. فتكون خسرت نفسها ولم تربح شيئا من العالم. في هذا أعتبرها حركة نكوص وتقهقر وليست «نهج جديد».

على أي حال ما حصل عندنا هو وصول وعينا السياسيّ المؤسّس على خيار حلّ الدولتيْن إلى طريق مسدود. فلا الخيار تحقّق ـ بعد فشل أوسلو ومسار التفاوض ـ ولا الفلسطينيون في إسرائيل تحسّنت أوضاعهم. هو طريق مسدود في مستويين ـ الأمل بحلّ الصراع سلميا على أساس تقاسم فلسطين بين الشعبيْن (كما أسّس لذلك قرار التقسيم)، ولم يُصبح الفلسطينيون في إسرائيل مواطنين كاملي الحقوق. في هذه الحالة كان علينا أن نعمل بوحي من الوعي الذي تطوّر من بُطلان فرضيات عملنا السياسيّ على مدار سبعة عقود. وهذا لم يحصل أبدا في مستوى الأطر السياسية الفاعلة. ما حصل من اجتهادات وطروحات بديلة (مثلًا، التي تقول بأن الحالة الإسرائيلية حالة كولونيالية أو هي أبرتهايد مُعلن بفعل قانون القومية) هي اجتهادات فردية أو فئوية ولم تتحوّل إلى وعي سياسيّ بديل تقوم عليه أطر ومبادرات. صحيح أنه كان في وثائق التّصوّر المستقبلي ـ لا سيّما وثيقة لجنة الرؤساء ووثيقة حيفا ـ مدى الكرمل خطاب بهذا المعنى إلّا أنّ القوى الفاعلة في السياسة المحليّة تجاهلت هذه النّصوص المؤسّسة والناظمة وناصبتها العداء بدل أن تستفيد منها وتتبناها كاملة أو مجزوءة.

لا بُدّ للسياسة المحليّة من مراجعة جريئة وتكوين وعي يتصل بالواقع وحقائقه الناجزة لا بالأماني ولا برغبة في استعادة الفردوس المفقود ـ يعني عليها أن تخلص من الغيب (كما في الثقافة العربية الأم) لأن الحلّ هو في المستقبل واستشرافه لا في الماضي الذي يُفترض أنه كان زمنا جميلا أو غاية الأرب. نحن بحاجة إلى إعادة البناء باتجاهيْن: بناء مشروع سياسيّ جماعي يتحرّر من إرث «دولتين لشعبيْن» على ما يعنيه من فرضيات. وبناء إرادة سياسيّة جامعة بحدود ما، قادرة على السير على طريق تحقيق غايات هذا المشروع. وأعرف أننا سنظلّ متأثّرين في هذا بما يحصل في المشروع الوطني الفلسطيني الأشمل الذي انتكس هو كذلك وبالمشروع العربي في الإقليم.

لقد أصابت الانهيارات العربية بفعل الثورة المضادة مقتلا فينا، هنا أيضًا، وأسهمت مع عوامل أخرى، في تفكيكنا وتخريب السياسة عندنا وتعميق الرهان على «المدينة اليهودية» كحيّز لتحقيق الذات الفردية والمهنية وفي تدعيم توجّهات الاندماج بالمجتمع الإسرائيلي رغم جنوحه إلى إدارة الصراع بدل حلّه وإقامة نظام تمييز عنصريّ سافر في فلسطين التاريخية. نعم، علينا أن نعترف أنّ بيننا أناسًا مستعدون أن يخدموا نظامًا كهذا بأن يتحوّلوا إلى جزء منه. المفارقة أنّ ما يحصل عندنا في هذا الباب يحصل في زمن يمينيّ بامتياز تحكمه توجهات صهيونية استحواذيّة تريد التنازل عن الليبرالية وهوامشها والانقضاض على كامل فلسطين. سيكون من العبث أن يتمّ ذلك بـ «أدوات فلسطينية».

جميع أنواع الكراميكا
ومستلزماتها
أسعار لا تضاهى
كراميكا سامر
يركا – الشارع الرئيسي – بجانب دوار الطب بعد كنيون كنعان
04-9562435
أيام وأوقات العمل من الاثنين حتى السبت 09:00 -19:00 أيام الأحد مغلق

الفنّانة سعاد نصر مخّول

«عن أعمالها الفنيّة وجاليري حيفا في وادي النّسناس»

تقرير: الغد الجديد

تُعيدُنا الفنّانة سُعاد نصر مخّول من خلال «جاليري حيفا» صالة العرض للوحاتها الفنيّة والمخطوطات الهندسيّة الفريدة لمدينة حيفا والتي تعود لفترة ظاهر العمر الزّيدانيّ، إلى مفردات الأصالة الثّقافيّة الغائبة عن مدينة حيفا. مدينة حيفا شكّلت عبر تاريخها ملتقى حضاريًّا وفنيًّا لمختلف الرّوافد الثّقافيّة والاجتماعيّة النّابضة بروح المكان المركّب، فهي تكاد تكون واحدة من المدن الفلسطينيّة والشّرق أوسطيّة

الفريدة التي تجمع في تضارسها؛ الجبل والسّهل والبحر، وربّما لهذه الخصوصيّة الجغرافيّة انعكاسات في مفهوم المكان وتشكّل معانيه على مستوى الفنون والآداب والثقافة عمومًا. فالأهميّة التّاريخيّة لمدينة حيفا هي اهميّة جغرافيّة تعود لتشكّل المكان، وأهميّة أنثربولوجيّة للإنسان الذي سكنها وحاول عبر تاريخها تشكيل عمرانها بما يتلاءم مع روحها. أمّا عند سعاد نصر مخّول فقد شكّلت المدينة، بوصفها المدينة التي ترعرعت وكبرت فيها وحملت معها هذا المخزون الثقافيّ والفنيّ في جعبتها، لتشكّل هذه العناصر قاعدة بني عليها مشروعها الفنّي بالتّرابط مع الرّؤيا العلميّة لمفهوم التّخطيط الحديث والقديم. وقد سعت نصر-مخّول طيلة مسيرتها إلى ترسيخ مفاهيمها المركّبة من خلال المشاريع التي قادتها في مجال التّخطيط، ولكنّ السّمات الفنيّة تأتي من عمق التّجريب في الشّكل واللّون والاستقبال البصري.

يحظى «جاليري حيفا» المقام في وادي النّسناس برمزيّة بالغة خاصّة في الأيّام التي يدور فيها الصّراع في المدن المختلطة كما تعرّفها إسرائيل، ويأتي هذا المشروع ليقول بوضوح لا لبس فيه أنّ المعالم العربيّة والفلسطينيّة في مدينة حيفا هي واحدة من الشّواهد على الرّواية، ومع كلّ محاولات السّلطات لطمس وتشويه هذه المعالم فإنّ ذلك يأتي من واقع الصّراع السّياسيّ والرّوائيّ على المكان وعمق الوجود العربيّ فيه.

ثلاث «ثيمات» في جاليري حيفا

تأسّس جاليري حيفا في بداية العام 2020، وهو العام الذي أحدث علامة فارقة في التّاريخ البشريّ ككلّ،

فمع انتشار فايروس كورونا في كافّة أنحاء المعمورة والتّقييدات التي فرضتها الأنظمة والحكومات تحوّل هذا المشروع إلى ما يشبه المغامرة، فإقامة الجاليري في هذه الظروف كان معناه أن تقوم الفنانة سعاد نصر مخول باستئجار بيت قديم في أقدم وأعرق أحياء حيفا «وادي النّسناس» وأن تبدأ بترميم هذا المبنى منذ آذار حتّى نهاية تشرين الثاني من العام 2020، وتمّ افتتاح صالة العرض في كانون الأول من نهاية العام 2020. إنّ تصميم نصر مخّول على الاستمرار بالمشروع والمثابرة يأتي من باب الإرادة الفرديّة والحلم الذي تحمله بأنّ تتحوّل أحياء حيفا القديمة ووادي النّسناس تحديدا إلى صالات عرض ثقافيّة وفنيّة لتثبيت الوجود العربيّ في حيفا، ليس الوجود السّكانيّ فحسب، بل كذلك حضور المصالح العربيّة في المدينة، لأنّ بلديّة حيفا تقود العديد من المشاريع بهذا الصّدد الهادفة إلى شراء البيوت القديمة، هدمها وتحويلها إلى مبانٍ سكنيّة حديثة لا تتلاءم مع روح المكان الحضاري والعمرانيّ، ولكنّها بالمقابل تعلن عن إتاحة الفرصة إلى ترميم بعض المباني شرط أن تبقى هذه المباني ذات طابع ثقافيّ بهدف شدّ السّائحين والوافدين من خارج المدينة إلى هذه الأماكن والمحال. ومن هذا المنطلق فقد كانت أهميّة مثل هذا المشروع.

الأعمال واللّوحات الفنيّة المعروضة للفنّانة سعاد نصر مخّول يمكن إجمالها من خلال ثلاث «ثيمات- موضوعات» أساسيّة، ومن هذه الموضوعات تتناسل مجموعة من اللّوحات منتمية إلى الثيمة الأم.

الموضوعة الأولى التي تعالجها نصر مخّول هي موضوعة المرأة، ومجموعة اللوحات التي تحمل هذه الموضوعة هي متعدّدة الأنساق والتّجارب، فالمرأة الفلسطينيّة بكلّ ما مرّت به من التّجارب الصّعبة إبّان

النّكبة قد شكّلت رافعة للمجتمع الفلسطينيّ في كلّ أماكن تواجده. الكثير من اللوحات المتناسلة في هذه الموضوعة تصوّر المرأة بلا ملامح وجه، ملامح الوجه الغائبة والجسد الحاضر بالكثير من وضعيات الأمومة من ناحيّة، والجهد التي تحمله المرأة طيلة سنوات حياتها، فكما هو الجسد يتحوّل إلى واحدة من المحظورات في الجندر العربيّ، تحوّله نصر مخّول إلى موضوع مطروح وحاضر فلا هو مقدّس ولا هو حرام، بل هو حالة إنسانيّة تستحقّ الوقوف عندها، لأنّ المرأة بجسدها وبكلّ التّغييرات التي تطرأ عليه هي تقدّم للعالم من خلاله شرط الاستمراريّة والتّناسل. أمّا عن الوجوه فهو اعتبار فنّي وفكريّ خالص كي تقول بأنّ الهويّة الجماعيّة للنّساء هي القادرة على تغيير أنماط التّفكير السّائدة في هذا العالم والأفكار الجندريّة.

الموضوعة الثانيّة هي «البيت والعمران في مدينة حيفا»، فالفنّانة سعاد نصر مخّول تحمل على كاهلها هذا الطّمس والمحو المنهجيّ لآلاف البيوت الفلسطينيّة، وتسحي معها من طفولتها شرفات البيوت التي كان الأطفال يجلسون على حوافّها بأقدامهم المتدليّة تعبيرًا عن الفرح وطاقة الحبّ الكامنة بدواخلهم. إنّ مجموعة الأعمال في هذه الموضوعة أخذت شكلاً توثيقيًا بأدوات فنيّة منها اللّون والشّكل الهندسيّ، والتّوثيق كما تعتقد نصر مخّول هو بهدف تعزيز الرّواية والحفاظ عليها من الضّياع، ونرى من خلال الأعمال المعروضة توثيقًا للعديد من أحياء حيفا مصل: وادي الصّليب، وادي النّسناس، وادي جمال وغيرها من الأحياء. على الجانب الآخر في هذه الموضوعة تحتفظ نصر مخّول بمخطوطات خامّ غير محقّقة لمدينة لأجزاء من مدينة حيفا، مثل خطّ سكّة حديد حيفا الحجاز، والتّغييرات التي وضعت في

فترة الانتداب البريطاني، وأخرى للأسوار التي بناها ظاهر العمر الزّيداني على منطقة البلدة القديمة في حيفا. تعتبر هذه الموضوعات من أكثر الموضوعات التي تحمل الأبعاد التّاريخيّة والحضاريّة والسياسيّة، ومن هنا تأتي أهميّة التّوثيق في مثل هذه الأعمال.

الموضوعة الثالثة هي «مجموعة الحريّة» كما أطلقنا عليها، وهي مجموعة من اللّوحات التي يتمّ التّركيز فيها على الأزرق والأصفر وللطّيور والنّوارس المصابة بالهلع غداة تهجير حيفا، وفي مجموعة الأعمال هذه تحافظ نصر مخّول على وتيرة مترابطة تجمع بين المفاهيم والمشاعر الإنسانيّة التي تحمل الخوف والهلع من ناحية، والتّوق إلى الحريّة وإنهاء الظّلم اللاحق بالشّعب العربيّ الفلسطيني.

إنّ الفنانة سعاد نصر مخّول من خلال «جاليري حيفا» تحاول أنّ تقيم شيئًا مختلفا في هذا الزّمن الذي طغت فيه روح الاستهلاك والعولمة، وبات واضحًا أنّ اهتمام أهل الواد كذلك والأطفال منهم الذي يزورون الجاليري ويهتمون بالفنّ عامّة.

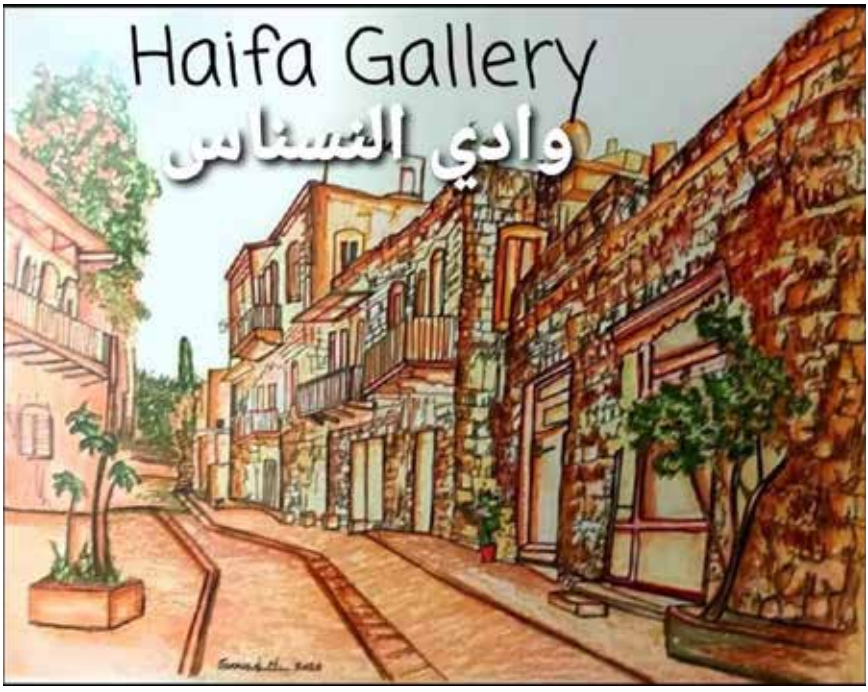
Haifa Gallery
وادي السنانس

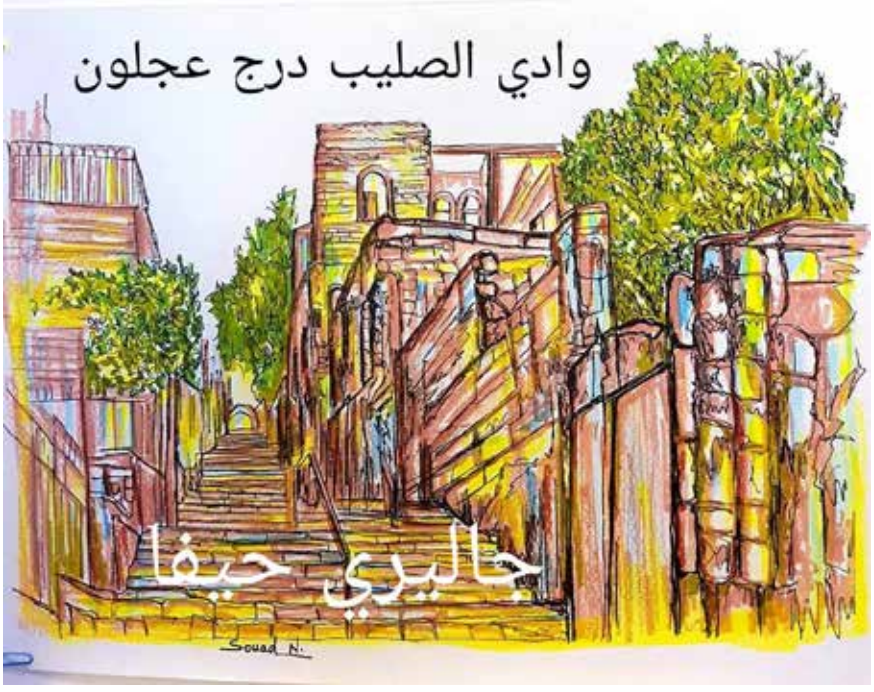
وادي الصليب درج عجلون
جاليري حيفا

"القضية الدرزيّة»

تبقى الحقيقة حقيقة ويبقى التغيير فقط في التغيير

بقلم : غالب سيف

حرب النصر الأخيرة « سيف القدس» في غزة، عدا عن الانتصار التاريخي والشامل والعميق الذي حققته، جمعت كلمة شعبنا وموقفه وقدراته، بكل أطيافه الطائفية والمذهبية والاجتماعية ومشاربه السياسية والعقائدية وبكل أماكن تواجده بشكل غير مسبوق، مع التأكيد أنّ أكثر ركاكة وأضعف مظاهر وأشكال وفعاليات هذا الفعل الوطني الوحدوي الكبير والمبارك كانت في القرى الدرزية الفلسطينية، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر ولكي نُجمِع ونُجمّع فكرنا وإراداتنا ونشاطاتنا الوطنية لتخدم مشروعنا الوطني، كشعب فلسطيني، بروح العنوان أعلاه، وبما يمنع تيهًا وتشتّتًا إضافيًّا نعاني منه كشعب – أفرادًا وهيئاتٍ وأطيافًا، في شتّى الأمور والمجالات. لأن شعبنا الفلسطينيّ وللأسف، كان وما زال، يقع تحت الاحتلال ومشتت ويعاني الأمرّين من الصهيونية ومن جرائمها تجاهنا، هي وأسيادها الراعون والمؤسسون والداعمون لها – المستعمرون الرأسماليون الأمريكان وغيرهم، وأيضا ممن هم من تحتها – العملاء الساقطون من الرجعيين عامة والعرب بالذات والّذين سماهم الكاتب الصهيوني هيلل كوهين – « العرب الطيبون – ערבים טובים" وعلى رأسهم اليوم دول التطبيع والتتبيع البائسة، مما يتطلب منا المزيد من المجهود لكشف حقائق تفيدنا وعمل تغيير لنتجاوز التشتيت لنضرب بذلك سياسة فرّق تسد، ولنجمع برصانة وثبات بخطى واثقة الكلمة والموقف والعمل، بروح هذه الوحدة التي تجلت في معركة " سيف القدس» الأخيرة المباركة والظافرة. من هنا وهذا جاء اختيار هذا العنوان بهدف أن نكشف جذور هذا الوضع أو الوهن الحاصل، لكي يتسنّى لنا أن نعمل كلّ شيء لتبقى الحقيقة حقيقة، ولكي نقارع بنفس مستوى صانعي التشويه والتضليل المبني والمُمنهج، الحاصلين بفعل هؤلاء الفاعلين، ومن هنا أن نقتنع جميعنا، أفرادًا وهيئات، بضرورة التغيير، تغيير تعاملنا مع ما أنتجوه تحت سقف « القضية الدرزية» ، لكي يوازي ردنا الجماعي المنشود هذا على الأقل مجهود الكيان الصهيوني في فعله المُشتت، لأنّ محور الشّرّ الباغي هذا عنده قدرات هائلة في فعله ونهجه الكاذب والمُشوِّه بحيث أصبح مهنيًا جداً، وكذبه وتشويهه الحقيقة والحقائق وسيلة وسلاح قوامه العلم والمنهجية، واضعين نصب أعيننا أن

نبغي ونتمسك بالحقيقة لتبقى الحقيقة، وفقط هي الركيزة والأساس في قاموسنا العملي وفعلنا الوطني الوحدوي وليس الدعاية الكاذبة الصهيونية، لما في هذا الفعل المطلوب من قوة وأمن وأمان وسياج لتماسكنا وصمودنا ومستقبل أجيالنا، في هذه المحاولة المتواضعة سنأتي على ذكر تفاصيل وعينات من هذه الحقائق، لأنّ النهار يبقى نهارا والليل ليلا في كلّ الحالات. ممّا يتوجب حصول التغيير بشرط أن يكون تغييرًا، لأنه فقط عندما يحصل تغيير تتغيّر الأحوال والحالات، وليس كما يحصل على الغالب عندما يُستعمل ويُستغل أو تُركب موجاته لتكون عنوانًا فقط على طريقة دريد لحام – غوار الطوشة : "ما في حليب في هل الحليب".

من هذا التوجّه يجب الاعتراف بالتعريف أعلاه أنه يوجد " قضية درزية» مدسوسة ومغروسة، وليس اعتباطا ولا تضخيما لا من ناحية التسمية ولا لمجرد طرقها أو ذكرها، وبالأكيد ليس من باب التشتيت والتفريق لا الطائفي ولا المذهبي ولا أي نوع من التشليخ او ترسيخ الطائفية أو تكريسها، وإنما لكونها قضية مستفحلة وناتجة عن مجهود صهيوني متواصل وثابت الى يومنا هذا، بغير استحقاق ولا تناسب ولا مصلحة بل بجهد صهيوني غير عادي لما لهم غاية عليا فيه، والصورة التي أرادتها الصهيونية لشعبنا عامة، كمجموعة طوائف ومذاهب لا رابط قوميًّا بينها وبالضبط كما جاء في وعد بلفور سيء الصيت، وأن الطيف الدرزي الفلسطيني هو تحت هيمنة الصهيونية من قديم الزمان وبعكس الحقيقة والحقائق، ترسخت هذه الصورة النمطية المُضرّة في ذهنية وممارسة أفراد ومؤسسات وهيئات بما فيها وطنية عندنا، وعندما أقول عندنا أعني عند الجميع بدون استثناء، وعلى كل المستويات وفي كل أماكن تواجد أبناء شعبنا، وربما مُغيّبة بالمرة عند الأكثرية من باب دفن الرأس في الرمال، حيث أنّ غالبية شعبنا وهيئاته ومؤسساته كأنه سمعان مش هون بالنسبة لهذه الحالة، رغم كون هذا الجانب من قضية شعبنا وفي الحقيقة يُشكّل رافدًا أو تفصيلًا من تفاصيلها، وفي السياق والصلة، حقيقة أخرى جديرة بالتنويه والتأكيد ويجب أن تكون بديهية لدى كلّ عاقل ومتبصّر تقول أنّ القضية الدّرزية ليست قضية دروز فلسطين وحدهم أو هي من انتاجهم أو اختراعهم وتخصّهم وحدهم فقط، ولا هي قضية الفلسطينيين وحدهم، بل كانت وما زالت وكما يعرف كلّ عاقل ذي بصر وبصيرة انها كقضية شعبنا عامة، جزء لا يتجزأ من قضية امتينا العربية والإسلامية، لأن القضية الفلسطينية ليست لفلسطين وحدها وهي قضيتهم الأولى، بحكم أن الغرب الاستعماريّ جاء بالصهيونية على حسابنا كشعب نعم، ولكن ليسيطر على أمتينا وينهب كلّ خيرات ومصالح هاتين الأمتين، كجزء من فعله المجرم ضدّنا وضدّ باقي شعوب العالم الواقعة تحت هيمنته ونهبه وجرائمه التي لا تحصى. اذ لا يجوز أن يقوم الجزء المريض في جسم بعلاج ذاته بذاته، وظيفة علاجه منوطة بكل الجسم كجسم.

لكشف جذور وأساس الذي نحن فيه مع هذا الطيف الفلسطيني، المعروفي، علينا الرجوع للبدايات. بعد أن أصدرت بريطانيا الاستعمارية وعد بلفور المشؤوم عام 1917، والذي عمليا اعتبرنا مجموعات وليس شعباً وصادر لنا بلادنا ووطنا ومنحهما الى الكيان الصهيوني الهجين والمبني والوظيفي، الذي كان في بداية بنائه وتكوينه. في حينه كان يتسحاق بن تسفي والذي أصبح لاحقا ثاني رئيس لدولة هذا الكيان الوظيفيّ، أول من أسّس وتعاطى مع ما سمّي لاحقاً " القضية الدرزية " من النُخب الصهيونية،

كجزء من تعاطيه هو وغيره مع ما سموه الطوائف العربية في فلسطين. كان أول ما كتبه عام 1922 عن يهود البقيعة الدرزية الجليلية، وفي صلب سرديته المبنية والمغلوطة والمُشوهة والكاذبة كان: " أنّ الدّروز يحبّون اليهود" !! ؟؟، مستندا الى ما جاء في وصف الرحّالة اليهودي الأندلسي المشهور رابي بنيامين (التطيلي) من تطيلة في الأندلس (1130-1173 م)، وممّا أسّسه بن تسفي وبناءً على هذا الاقتباس الكاذب من تشويه كان أنه يوجد: "تشابه بين اليهود والدروز"، اذ جاء فيما كتبه:» .. التشابه بين الدروز واليهود، وهو مصير الشعبين – مصير أقلية، فالدروز أيضاً قاسوا اضطهاداً دينياً من جانب الأكثرية .. والاضطهاد الذي قاسوه من جانب الأكثرية الإسلامية .. بلغ أحياناً حدّ السّلب والنّهب والمذابح – كلّ ذلك قرّب الدروز الى مصير الأقلية اليهودية وسهّل عليهم فهم نفسية الأقلية اليهودية المضطهدة» (كتاب البروفيسور المرحوم قيس فرو – دروز في زمن الغفلة من المحراث الفلسطيني الى البندقية الإسرائيلية ص 8). ومما كتبه واقتبسه البروفيسور قيس فرو (في نفس المصدر ص 9) يكشف حقيقة هذا التأسيس لهذه السّردية الصّهيونية أو الكذبة المُشوّهة والمُشوِّهة : « لكنّ المُتمعّن في النص الكامل للتطيلي يكتشف الانتقائية لهذه الاقتباسات (التي اقتبسها بن تسفي غ. س) التي تُغيّب الصورة النمطية السلبية التي رسمها التطيلي للدروز (ويقتبس فرو ممّا كتبه التطيلي ما يلي غ.س) : « صيداء (صيدا) هي صيدون الواردة في التوراة، فيها نحو عشرين يهودياً. وعلى بعد عشرة أميال منها تقيم طائفة الدروز وهي في خصام مستمر مع اهل صيداء، وهؤلاء (الدروز) لا دين يُعرف لهم. يعتصمون فوق قمم الجبال وشعاب الصخور ولا يمتُّون بطاعة لملك أو أمير، ومضاربهم على بعد ثلاثة أيام من جبل حرمون. وهم إباحيون. ينكح الرجل منهم ابنته. ولهم عيد يحتفلون به مرّة في العام. يجتمعون به في صعيد واحد، يأكلون ويشربون، فيستبيح بعضهم نساء بعض. ومن عقائدهم السَّقيمة أنّ الرّوح الزّكية إذا فارقت الجسم عند الوفاة حلّت في جسم طفل آدمي يولد في تلك اللحظة، أمّا الرّوح الشّريرة فتحلّ في جسم كلب أو حمار وما شاكل. ولا يوجد بينهم من اليهود سوى بعض أرباب الحرف والصباغين، يقيمون عندهم ردحاً يعودون الى أهلهم. ومعاملة هؤلاء لليهود حسنة (التأكيد مني غ.س) ". لا مكان هنا للتّطرق للإساءة التي يحتويها هذا الوصف الكاذب والمناقض كليًّا للعقيدة المذهبية ولحقيقة المسلمين الدروز، لكي نبعد عن معالجتنا المركزية، لذلك نعود ونشير الى خبث الدعاية الصهيونية وانتقائيتها، التطيلي بذاته لم يذكر الجملة التي ارتكزت عليها مقولات بن تسفي أنّ: «الدروز يحبون اليهود»، وإنّما كتب: « ومعاملة هؤلاء لليهود حسنة»، رغم ذلك نجد أن بن تسفي استعمل كلمة الحبّ هذه متجاهلا الأخذ بعين الاعتبار أنّ الحكي كان عن أفراد يهود بينهم وبين الدروز في حينه كانت عداوة وكراهية، وليس حبًّا، وأن الذين من بينهم كان له علاقة حسنة لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، رغم هذه الحقيقة بنى بن تسفي وبعده كلّ ربع الصهاينة وكيانهم، أكاديميّين وأدباء ومسؤولين وغيرهم، بنوا على هذا التزوير والكذب والتشويه الثابت "القضية الدرزية"، لتكون على مذاق ومقاس ومواصفات وما تتطلبه مصالحهم وغايتهم وسياسة فرّق تسد المعهودة، كلّ هذا جرى وما زال يجري في غياب أيّ اهتمام من جانب قيادات ونخب وجماهير شعبنا وأمتينا. نجحت الصّهيونية في تحويل جملة فضفاضة من القرن الثاني عشر الى مقولات وآليات عمل سياسيّة، رغم أنها غير صحيحة، كاذبة، مزوّرة، الى وكأنها واقع ثابت، الى أن وصلوا الى التباهي ب – « حلف دم»،

و – " علاقة خاصة بين الدولة والدروز" ، ووظّفوا فيها " التّقية" لتكون رافعة لسياستهم البائسة، وأساسًا لمقولة غير صحيحة، تتنافى بالكامل مع حقيقة الدروز ودورهم التاريخي منذ جيء بهم على زمن العباسيين لحماية ثغور الشام، الى دورهم البطولي في معركة صلاح الدين الأيوبي في حطين ضدّ الصّليبيين، ومعركة عين جالوت ضدّ التتار، الى الثورة السّورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش، الى معركتي يانوح وهوشة والكساير عام النكبة 1948، وغيرها من بصمات كبيرة ومشرّفة في تاريخ أمّتينا العربية والإسلامية، لتحوّل الصّهيونية مبدأ التقية الى مقولة كاذبة أخرى " قدرة الدروز على التّكيّف» ليتماشى ويتكيّف هذا الطّيف الفلسطيني مع مشروعهم بدون عوائق تعيق متطلبات دولتهم\كيانهم.

تأثير هذا المشروع والفعل الصّهيوني على أرض الواقع ظهر عام 1932 ، مع بلورة والمباشرة في تنفيذ مشروعهم الاجرامي لتهجير– ترانسفير دروز فلسطين الى سوريا الى جبل العرب، حيث كان عدد الدروز هنا ما يقارب ال 10 الاف نسمة موجودون في 18 قرية ويملكون ما يقارب ال 312 الف دونم هدفت وطمعت الصهيونية بنهبها، مشروع أفشله طيّب الذكر المرحوم القائد سلطان باشا الأطرش، هذا الفشل وأيضا ما جاء به البروفيسور قيس فرو في كتابه «دروز في زمن الغفلة من المحراث الفلسطيني الى البندقية الإسرائيلية» ص 12 : «لم ينجح النشيطون الصهاينة في إيجاد تعاون درزي – صهيوني واحد، وكل ما استطاعوا تحقيقه تجنيد عدد قليل جداً من متعاونين دروز، لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، مثلهم في ذلك مثل متعاونين من طوائف فلسطينية أخرى، اطلق عليهم احد الكتاب الإسرائيليين مصطلح العرب الطيبين». لم يجعل الصهاينة يتنازلوا عن مشروعهم في استخدام ما سموه «علاقة مميزة» بينهم وبين دروز فلسطين، غير موجودة ولا أساس لها من الصحة، ولكنهم تمسّكوا بها الى أن تحوّلت الى آلية ناجعة جدا وجزء فتاك من صلب سياستهم. للدلالة على التأثير القاتل لهذا المشروع الفتنويّ الصهيوني أسرد ما جرى لنا في لجنة المبادرة العربية الدرزية في القدس الشريف في الأقصى الشريف. عندما استشهد المرحوم طيب الذكر القائد أبو جهاد خليل الوزير، بعد اغتياله الإجرامي الصهيوني، تمّ فتح بيت عزاء لاستقبال التعازي باستشهاده في الأقصى الشريف. قام في حينه وفد كبير من لجنة المبادرة العربية الدرزية بشدّ الرّحال للقدس الشريف لبيت العزاء هذا، لنقوم بواجب تقديم العزاء تكريما وايفاء منا لشخص وسيرة هذا القائد الكبير. تزامن وصولنا الأقصى الشريف وصول وفد آخر برئاسة الأستاذ النائب سابقا عبدالوهاب دراوشة. بعد أن عرّفنا عن أنفسنا وعن هدف وجودنا، ذُهِلنا من ردة فعل الأخوة المحليين لمجرد حضورنا، بالمشبرح لا خلولنا ولا بقولنا، كيل تهم بدءا ب – "العمالة" و "أن جنودكم وظلمهم" و " أنه كان أجدر بكم أن تضبوهم عنا" وغيرها من التعابير والاتهامات التي لا علاقة لنا بها كوفد لا من باب ولا من طاقة سوى أننا دروز وفلسطينيون. من تجارب سابقة لنا مع آخرين، خاصة في فترة الانتفاضة الأولى، لم نتفاجأ كثيرا، وإنما المفاجأة كانت من حدة التعابير وحرارتها. للحقيقة وقبل أن نردّ ولو بكلمة، قام النائب دراوشة بردّ مؤثّر وناقد للمعزبين، حتى قاله بحدّة غير مألوفة، مستنكرا بشدة ومعتبرا توجيه هذا الكلام لهذه المجموعة ولهذه اللجنة الوطنية المميزة، بمواقفها ونشاطها الوطني الوحدوي والمُميز، ما هو إلا شطط مرفوض وغير مقبول، وأنّ كلّ هذه التّهم يجب أن توجه للاحتلال وجنوده، أياً كان انتماؤهم القومي أو الديني، ومما قاله وجدير بالتنويه : « أُقسم أنّ لجنة المبادرة الدرزية هذه هي من أشرف هيئاتنا الوطنية من المحيط الى الخليج

وأن نشيطيها من أنقى الشرفاء الوطنيين على مستوى العالمين العربي والاسلامي" . فِكرُنا وقناعاتنا ومواقفنا ونهجنا الوطني أتاح لنا أن لا نهتز، قمنا بالرّدّ الرّصين من خلال طرح ما هو حقيقي وما هو كاشف لزيف وكذب وتشويه وآلية عمل ماكنة الإعلام الإسرائيلية المبنية على الكذب والتشويه والتزوير للحقيقة والحقائق، مما قلب الجوّ الكئيب الناتج الى حدث وطنيّ حقيقيّ ووحدويّ، كما كان هدفنا من الزيارة مسبقاً. عندما أنهينا الزيارة وقدّمنا واجبنا، خرجنا الى باحة الأقصى الشريف، أثناء ذلك قام برفقتنا، ربما كاحترام خاصّ وكردّ اعتبار، أحد المسؤولين الكبار في الهيئة الإسلامية العليا، والذي كان يشرح لنا عن هول تصرفات « الجنود الدروز» وكثرتهم وعددهم الكبير، ومن منطلق أن الهمّ مشترك وليس من باب المناكفة، لفت انتباهنا أن تقييمه يحوي شيئًا غير حقيقي وغير طبيعي، عندها سألناه: « حسب تقييمك يا شيخنا الحج ما هو عدد الجنود الدروز في القدس»، في حينه عندما كان يدور حديث عن جنود دروز كان المقصود جنود «حرس الحدود – مشمار جفول» سيّئي الصيت، الوجه الأكثر بشاعة للاحتلال الإسرائيلي، والذي نُسِبَ بالكامل وبفعل ماكنة الاعلام الإسرائيلية للدروز وهذا جانب أساسيّ في القضية الدرزية الفلسطينية. أجابنا الشيخ عن سؤالنا بكلّ ثقة وثبات وبدون أي تردد أن عدد الجنود الدروز في القدس في حينه 30 الف جندي ... يا لطيف 30 ألف مرة واحدة. المعلومات التي كانت تُنشر في وسائل الاعلام الإسرائيلية، في حينه، كانت تشير أن عدد أفراد هذ الفرقة من قوات الاحتلال الإسرائيلي والمنتشرة على طول البلاد وعرضها، لا يتجاوز ثلث هذا الرقم الذي نطق به هذا الشيخ رفيع المسؤولية والمكانة. لتوضيح بؤس المشهد والحال، في حينه كان عدد الدروز الفلسطينيين عامة ما يقارب ال 60 الف نسمة (بدون الدروز العرب السوريّين في هضبة الجولان المُحتلة)، مما يعني أن نصفهم، أي ال 30 الف جندي في القدس لوحدها هم من دروز فلسطين وهذا النّصف مُجند في حرس الحدود في القدس وحدها، مع العلم أنّ النّساء الدرزيات لا يخدمن حتى اليوم بأجهزة الأمن الإسرائيلية، من منطلق ديني، وهنّ يُشكّلن نصف المجتمع، مما يعني أنّ كلّ الذكور الدروز كانوا في حينه وحسب تقدير هذا المسؤول الفلسطيني رفيع المستوى في حرس الحدود لوحده، في القدس لوحدها، بدون الأخذ بعين الاعتبار الخدمة الإلزامية المفروضة على شبابنا في الجيش، بحكم وكنتيجة لهذا التشويه وهذا الغدر الصهيوني، أو الخدمة في الشرطة أو مصلحة السجون وغيرها، مما استوجب وحسب هذا التقييم استيراد قوى بشرية درزية لسدّ الفراغ الذي أحدثه رقم الحج في باقي المحلات .. في المحصلة رقم الحج غير المعقول هذا يقول ان ابن يوم الى ابن مائة عام من دروز فلسطين كانوا مجندين في حرس الحدود، في القدس لوحدها ... !! ؟؟، شر البلية ما .. بركب على الدماغ . هذا الحدث فرض علينا إجراء مسح ميداني لعدد الجنود الدروز في حرس الحدود، كانت نتيجته أن عددهم اقل من 5% من مجمل المجندين في هذه الوحدة، أقل من 500 عنصر، موزعين على طول البلاد وعرضها، بما فيه في أرض الزابود المُعتدى عليها في بيت جن. ليس هذا المهم، ما هو أهمّ أنّ الحقيقة كانت مُغيّبة بالمطلق عن وجوه شعبنا ونخبه، وانهم ليسوا في مشروع وطني يتصدى ويلعن أساس المشروع الصهيوني الهادف، والمبني على الكذب والتزوير وقلب الحقائق، وإنما كانوا اسرى الدعاية وماكنة الاعلام الصهيونية بالمطلق، هذا ما كان وما زال لدى كلّ النّخب الفلسطينية في كلّ الأماكن ..!! وهذا ما أعاق تماثل دروز فلسطين في نفس المنسوب الذي كان لدى باقي أطياف شعبنا في معركة سيف القدس المباركة. وللدلالة على حجم تعقيدات الحال،

عندما سُئِل رفيقنا محمد بركة – رئيس لجنة المتابعة العربية العليا عن عدم وجود تمثيل للطيف الدرزي الفلسطيني في اللجنة، كأمر فيه نقص أساسيّ في تركيبة اللجنة، أجاب الرفيق محمد ما أجاب وبدون تعليق مني. هذا بالنّسبة للنّخب وقناعاتها وما عندها من تبنٍّ للدعاية المضادة، فما بالك الحال لدى العامة الفلسطينية، حتى تلك القريبة جدا منهم ؟ هنا تكمن المشكلة، هذا هو الحدث وهو الذي يستدعي الحديث غير شِكِل والتغيير، هذه القضية عدا عن كونها ذات دلالة وصارخة، تشكّل عقبة في وحدة وتوحيد قوى شعبنا، مما يستدعي صحوتنا كشعب، النخب والهيئات والمؤسسات أو اذا أحوجت بدونهم، لنردّ الصّاع صاعين، علينا مواجهة مشروع فرّق تسد الصهيوني ببناء مشروعنا الوحدويّ الوطنيّ الفلسطينيّ الجامع، نقوّيه ونقوى فيه ونحن قادرون، لأنه لن وربما ممنوع أن يحكّ جسمنا سوى ظفرنا، ولا مجال أن يغيّرنا أحد حتى الباري تعالى، بحكم الآية القرآنية: « لا يغيّر الله ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم" صدق الله العظيم .

هذه الحقائق وغيرها الكثير، المتعلقة بهذا التفصيل أي «القضية الدرزية»، هي من وإلى قضية شعبنا، وكلنا، يعني كلنا، مطالبون بالتّعامل معها من المنطلقات آنفة الذكر، وهذا مطلوب منا كلنا ولكن ليس فقط من باقي أطياف شعبنا، وإنما أولا وقبل كلّ شخص أو هيئة أو مؤسسة أخرى، مطالبون به دروز فلسطين، بنفس التوجه ومن نفس المنطلقات، وأكثر حبتين ... لماذا ؟ لأنه عندما تقطع فُرِعًا من شجرة، بالأكيد ليس لصالح لا الشجرة ولا الفُرِع، لكنّ المتضرّر الأساسي هو الفُرِع، والمُستفيد الوحيد هو الذي قطع الفُرِع، لأنه أضعف الشجرة واستعمل الجزء المقطوع منها إما عكازة أو عصا للقتل والجريمة أو لأي استعمال آخر لمصلحته فقط. بالنسبة لحالتنا، من الخطأ أن نقول أنّ الباغي الصهيوني نجح في قطع الفُرِع، لأنه وبفضل الشرفاء المعروفيين، المعروفين منهم والناشطين على السُكيت، وهم الأكثرية والذين عددهم عشرات الآلاف (عدد دروز فلسطين اليوم حوالي 130 الف نفر) من المعروفين والذين تحولوا لرموز، الشعراء، وعلى رأسهم طيب الذكر المرحوم سميح القاسم – شاعر المقاومة والعرب والمسلمين، المرحوم مفيد قويقس، الأحياء مثل : نايف سليم، حسين مهنا، سامي مهنا، تركي عامر، فاضل علي، هادي زاهر، صالح قويقس، آمال أبو فارس وغيرهم العشرات، والأدباء وعلى رأسهم الرفيق محمد نفاع، المرحوم سلمان ناطور، البروفيسور أمل جمال، الدكتور يسري خيزران، طيب الذكر البروفيسور قيس فرو، البروفيسور مسعود حمدان، نمر نمر، أمين خيرالدين وغيرهم. وشخصيات مميزة كالشيخ الخالد والقائد المرحوم طيب الذكر فرهود فرهود – أول رئيس للجنة المبادرة العربية الدرزية، المرحوم عاصم الخطيب – أول سكرتير لها، المرحوم طيب الذكر صياح كنعان، سكرتير اللجنة سابقا والناشط الفذ جهاد سعد، الشيخ المرحوم وطيب الذكر أبو حيدر حسين خطار – أول شيوعي في يركا ومن مؤسسي لجنة المبادرة العربية الدرزية عام 1972، الدكتور عبدالله أبو معروف، البروفيسور جمال زيدان، آلاف رافضي الخدمة الاجبارية الذين دفعوا آلاف سنوات السجن مقابل رفضهم التجنيد الاجباري المفروض عليهم، كل هذا وغيره أفشل مشروع قطع الفُرِع وثبّت هويتنا العربية الفلسطينية لدروز فلسطين، بكل ثقة وثبات، كشف زيف وكذب الصهيونية، التي لا حاجة لمجهود كبير لإثبات كذبها وزيفها وتزويرها، ولأبناء عشيرتي ولكل أبناء شعبنا أقول أنه يكفي أن نعرف أن نسبة مصادرة أراضينا تجاوزت النسبة العامة لدى مجتمعنا العربي التي وصلت نسبة المصادرة فيه الى 80،5%، بينما صودر لنا كدروز

فلسطينيّين 83% من أراضينا، وصفقة القرن وقوانينها العنصرية بامتياز: كامينتس والقومية وباقي ال 30 قانونًا عنصريًّا، لم تفشق أو تستثنِ أي طيف فلسطيني، خاصة الطيف الدرزي الفلسطيني، بل أصابته كما اصابت كل عربي بمقتل واجب مقاتلته. وربما الأكثر دلالة على فشل قطع الفُرِع ، أنه من مجمل العرب الذين يخدمون في كل أذرع الأمن الإسرائيلية نسبة الدروز منه 8%، رغم أن نسبة الدروز من عرب الداخل هي 8،5% وأنهم الوحيدون الملزمون بالخدمة الاجبارية، البقيّة متطوعون متجندون طوعياً ؟!.

كل هذا يقول أن شدّوا الرحال، جميعنا بريشنا وبعراميشنا، الى وحدة شعبنا الوطنية النضالية. صمود أهلنا المقدسيين والغزاويين وأهل اللد الأبطال والنصر في حرب « سيف القدس" هو من المحفزات لتعجيل الخُطى نحو هذه الوحدة، والتي هي الضامنة لنا جميعا وتُبشر بالآتي المنشود. في فلسطين التاريخية هناك شعبان، عددنا كفلسطينيين يفوق عدد الشعب الآخر بأكثر من 400 الف والآتي أكثر خيرًا وأغزر. نُختِم بقول رفيقنا توفيق زياد:

يا شعبي يا عود الند

يا أغلى من روحي عندي

26.6.2021

(كاتب هذه السطور رئيس لجنة المبادرة العربية الدرزية)

نتقدم بأحر التهاني واسمى التبريكات

بمناسبة حلول

عيد الأضحى المبارك

اعاده الله علينا وعليكم باليمن والبركات

الغد الجديد

أخوان كنعان م.ض.

حديد | دهانات | جميع أنواع مواد البناء والخشب

يتقدمون بأجمل التهاني لجميع
المحتفلين بحلول

عيد الأضحى المبارك

أعاده الله على الجميع وقد تحققت
الأماني بالسلام العادل، المساواة
التامة والاستقرار

يركا – المنطقة الصناعية هاتف رقم: 049961241

بنو معروف
لا يساومون على عروبتهم
مهما تطاول المتطاولون

محمد رمال

قال المناضل والوجه الدرزي العربي محمد رمال من بلدة يركا في الجليل الفلسطيني في لقائه الأخير بالصّحفيّ محيي الدّين خلايلة: «إنّ بني معروف لا يساومون على عروبتهم مهما تطاول المتطاولون" مشددا على اعتزازه وأبناء الطائفة المعروفية بانتمائهم العربي والاسلامي. ويضيف رمّال بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك: "حاول بعض المزايدين المسّ بعروبة بني معروف لكنهم خسئوا فنحن لم ولن نساومَ على عروبتنا مهما تطاول المتطاولون.. الإسلام الحنيف ديننا، إسلام محمد بن عبد الله النبي العربي الأمين عليه الصلاة والسلام، وصحابته الأتقياء الشرفاء رضي الله عنهم جميعاً، ومذهبنا التوحيد، الذي حسب تعاليمه لم نتزاوج إلا مع بناتنا منذ ألف سنة، وعليه فنحن الذين حافظنا وكررنا الدم العربي، كما أنّنا لا نلحن في اللغة العربية".

وذكر رمال بصفحات المجد والنضال والذود عن الوطن العربي في الشرق الجريح، واستحضر ذكرى الشهداء سلطان باشا الاطرش والأمير شكيب أرسلان والفيلسوف الخالد كمال جنبلاط وعدد مناقبهم ومواقفهم البطولية المشرفة، كما استذكر نكبة الشعب الفلسطيني عام 48 واتخاذ قيادة الطائفة المعروفية قرارها الحكيم التاريخي بتفضيل البقاء في قراهم أحياء أو شهداء، واستضافة هذه القرى لآلاف المهجّرين وتقاسمهم لقمة العيش معهم.

وكان قد كتب المناضل محمد رمّال كلمة كان لها وقعها الخاصّ قبل سنوات حين دعي لإفطار نظّمته غرفة التّجارة في النّاصرة، وننشر هنا نصّ كلمته التي تركّز وتدعو على أهميّة الوحدة والحفاظ على النّسيج الاجتماعي:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وصحبه الميامين .
حضرة رئيس الغرفة التجارية في الناصرة الحبيبة الأخ أبو فارس عامر صالح المحترم
السادة رجال الدين الأفاضل
الحشد الكريم : كلكم محترم وكلكم محترمون
سلام الله عليكم وبركاته
سلام يعربي معروفيٌ من قلبٍ صادق إلى قلوب المؤمنين
سلام محبةٍ وإخلاص ووفاءً. سلام عزةٍ وكرامةٍ وآباء. سلام الإيمان والآمال والصمود.
أيها الأخوة الأحباء: أحبكم، ثم أحبكم وأحبكم يا أبناء شعبنا العربي الفلسطيني البطل الصامد.
احبك يا لغتنا العربية الجميلة نثراً وشعراً ، عاميه وفصحى احبك يا لغة قرآننا الكريم.
احبك يا ناصرتنا بلد البشارة بالسيد المسيح عليه السلام يعانق هلالك صليبك محبةً ووفاقاً وأخوة وعطاء – إلى ابد الابدين.
الأفاضل والكرام : أنا عاتبٌ عليك يا رمضانُ الكريم، قبلنا منك بالرضى والتسليم شهراً من الصيام، لكن كم كنا نتمنى أن أيامك الفاضلة الفضيلة، أيام المحبة والوفاء، أيام التسامح والسماح، أيام الخير والبركة، أيام العطاء والزكاة أيام الألفة والبسمة والتواضع والتعاون على البر والتقوى، أن تستمر أيامك هذه بين أبناء شعوبنا العربية عامة والفلسطيني خاصة على مدار السنة لنثبت للعالم أجمع: العربُ أمة الشرفاء . ومن شكّ في قولي كفر
الأهل الأوفياء، جئناكم من يركا الجليلية الأبية : بمعية اخي وصهري الحبيب ابي السعيد منهال حمود ابن يركا وابن الناصرة، هذا الإنسان المتواضع الذي يعتبر وأنجاله البررة وحرمه المصون مفخرة ورمز النجاح لأناس مؤمنين معطائين شهمين، حيث انشأوا مركزين تجاريين في يركا والناصرة ناجحين نعتز بهما، فألف ألف تحيه يا أبا السعيد وعائلتكم وفقكم الله ورعاكم.
ايها الجمع العزيز الغالي : حاول بعض المزايدين المس بعروبة بني معروف لكنهم خسئوا فنحن لم ولن نساومَ على عروبتنا مهما تطاول المتطاولون، نحن رب العروبة، الإسلام الحنيف ديننا إسلام محمد بن عبد الله النبي العربي الآمين عليه الصلاة والسلام، وصحابته الأتقياء الشرفاء رضي الله عنهم جميعاً، ومذهبنا التوحيد، الذي حسب تعاليمه لم نتزاوج إلا مع بناتنا منذ الف سنه، وعليه فنحن الذين حافظنا وكررنا الدم العربي، كما إننا لا نلحن في اللغة العربية.
أما تاريخنا فهو صفحات من المجد والنضال والذود عن أوطاننا العربية في هذا الشرق الجريح، فلم تقم ثورة تحرريه الا وعلى رأس حربتها أبطالنا، فعلى سبيل المثال لا الحصر : المغفور له سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية الكبرى التي حررت سوريا من الاستعمار الفرنسي البغيض ضحى بستة آلاف شهيد من أبناء الجبل والذي قال فيها أمير الشعراء احمد شوقي:
دمَ الثوار تعرفه فرنسا وتعرف انه نور وحق
وما كان الدروز قبيل شرٍ وان اخذوا بما لا يستحقُ
ذادة وقراةٌ ضيف كينبوع الصفا خشنوا ورقوا

أما الأمير شكيب ارسلان، ابن لبنان الغالي، فقد انتخب أميراً للبنان من قبل العالم الإسلامي والعربي وكان الممثل الأول للشعب الفلسطيني في عصبه الأمم.

وإذا عرجنا على الفيلسوف الخالد كمال جنبلاط فهو الذي كان له دورٌ كبيرٌ في احتضان لبنان للمناضلين الفلسطينيين على أرضه ، مع تنامي العمل الفدائي الفلسطيني على أثر نكبة حزيران 1967، وهو الشهيد الأول للقضية الفلسطينية باعتراف المغفور له الرئيس الفلسطيني المرحوم ياسر عرفات.

وكانت نكبة شعبنا الفلسطيني البائسة سنة 1948 واتخذت قيادة الطائفة المعروفية قرارها الحكيم التاريخي بتفضيل البقاء في قرانا أحياءً أو شهداء، وكان لنا شرف استضافه أهلنا وجيراننا رغم هول الكارثة – فقريتنا يركا كغيرها من القرى المعروفية في الكرمل والجليلين، كان عدد سكانها 1500 نسمه استضافت أكثر من خمسين ألف نازح ومشرد، تقاسمنا معهم لقمة العيش وكاسِ الماء، وعبثاً حاولنا إقناعهم البقاء – نقول هذا ليس تفاخراً بل افتخاراً وهذا كان واجبنا العربي والأخلاقي والأدبي وحتى الديني.

أقول هذا ليس من موقع الدفاع عن الطائفة المعروفية ولكن لإظهار الحق وردع أولئك الذين اخذوا علينا الخدمة العسكرية من قانون قسري جائر في حين يتهافت الكثيرون من إخواننا من باقي طوائفنا العربية للخدمة تطوعاً مادياً.

ونحن نرفع تهانينا بمناسبة حلول رمضان المبارك إلى شعوبنا الإسلامية في أنحاء العالم عامه وشعوبنا العربية في الشرق الذي ينزف دماً .

ارجو ان تصلوا معي : اللهم حقق آمال شعبنا العربي الفلسطيني بإقامة دولته الفلسطينية المستقلة على حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس الشريف وعودة لاجئي شعبنا الى ديارهم .

اللهم انقذ شعوبنا في اليمن والعراق وسوريا وليبيا من براثن الوحوش البشرية المتلبسة بالإسلام – والله والإسلام منها براء. اللهم احمي تونس والكويت وكل وطننا العربي الحبيب من الإرهاب .اللهم عزز قوة مصر حامية العروبة.

اللهم سدد خطى أبناء شعبنا الفلسطيني في دولة إسرائيل. الذين سطروا أروع صفحات التلاحم والعمل المشترك من خلال قائمتهم المشتركة والتي التف حولها أبناء شعبنا مسلمين ومسيحيين من كل الطوائف والمذاهب والشرائح .سنة ، دروز، شيعة، بهائيين احمديين، شركس ،لاتين، كاثوليك، ارثوذكس ، ارمن، سريان، بدو وحضر فلاحين ومثقفين. هذه الوحدة والتلاحم نموذج يحتذى به في عصر الصراعات والانقسامات.

انتهز هذه الفرصة لأدعو كل مكونات شعبنا للحفاظ على هذه الوحدة والعمل من اجل المساواة والسلام .

اللهم أسبل عطفك وارحم أبناءك المؤمنين الشرفاء وأحل السلام والتسامح والسماح في ربوع أوطاننا العربية.

اللهم جدد الإسلام والإيمان الحنيف في قلوب الشعوب ليرفعوا أعلام الدين دين الحق والعدالة والأخلاق والمحبة والإخلاص.

اللهم ألهم الجاثمين على مقدرات شعوبنا العربية من نفط ومناجم أن يرصدوا الأموال في الإنسان، بدلاً من ان تصب في خدمة المتآمرين على مستقبل شعوبنا وتدميرها لنعيد أمجاد ابن سينا وابن حيان وابن ثابت وغيرهم ونثبت للعالم أن الدماغ العربي لا يقل جدارة وقدرة عن من يستعمرنا وينهب خيراتنا.

ولك يا أبا فارس عامر ألف ألف تحيه إجلال وإكبار على هذه اللفتة الكريمة وفقكم الله ودمتم ذخراً للمحبة وعاشت ناصرة السيد المسيح عليه السلام بلد التعايش والإخاء يعانق صليبها هلالها إلى الأبد.

وأخيراً تبت الأيادي الآثمة التي تطاولت على الأماكن المقدسة من جوامع وكنائس وآخرها الرعاع والسفلة التي حرقت أدمغتهم الموبوءة وأياديهم المجرمة كنيسة الطابغة الأثرية المقدسة.

ولعل أجمل ما انهي به كلمتي هذه بأبيات شعر للشيخ الشاعر سامي ابي المنى من لبنان:

إسلامنا عملٌ، حبٌ وتضحيةٌ إيمان قلبٍ نبضةُ حكمُ
صلاتنا الصدقُ والإحسان مسلكنا وفي مضافاتنا تستولدُ القيم
وللنبي رسولُ الله مرجعنا لسنة الحقِ والقرآن نحتكم
وللعروبة في أوطاننا ذممٌ لكم دفعنا دماً كي تحفظ الذممُ
فمن أشار ألينا بالأذى هو ذا باغ وللبغي يومٌ ملؤه الندم.

والسلام عليكم ورحمات الله.

نتقدم بأحر التهاني واسمى التبريكات

بمناسبة حلول

عيد الأضحى المبارك

اعاده اللّه علينا وعليكم باليمن والبركات

الغد الجديد

رَحابةُ الزّقاق

إياد الحاج

يسيرُ الزُّقاقُ مُتيقِّظًا
فِـــيَّ
وأنا واقفٌ
فاتحًا يديَّ
شاردًا
***
الزُّقاقُ حافٍ، حاسرٌ وعارٍ
يستحمُّ أمامَنا بماءِ السّماء
يفرُكُ جلدَهُ بالنّسائمِ المهرولة
إلى مصبّها
ويجفّفُ شعرَهُ اللّيليَّ
بنهارِ شعاعِها الذّهبيّ يغضُّ الطّرفَ
أمامَ ظلِّهِ
يضعُ حملَ الذّهبِ
في مدخلِ البابِ المفتوح
ولا يغدو ولا يروح
ويقفُ ساكنًا
مشدوهًا
***

ليتني جملٌ
يقوى على حملِ أشيائيَ
المبعثرة
في الزُّقاق
تركضُ ضاحكةً
مُذْ ربيعيَ الأوّل
ساخرة
من التقاطِ أنفاسي
وزحفِ طنينِ أجراسي
في تشرينيَ الثّاني
ومن تجميعِ أطرافي
من أفقِ الحوافي
إلى أصابعِ أقداميَ الغضَّة
في زُقاقيَ الحافي
يسيرُ في مكانِهِ واقفًا
وأقفُ في سيري
ماشيًا
ذاهلًا

2021/2/7

נ.ר.ש.א לבניין והשקעות בע"מ

ن.ر.ش.ا للبناء والاستثمار م.ض

مقاول مسجل رقم : 19526 بإدارة : أمين رمّال

*أعمال بناء * مبادرات اقتصادية * مقاول رئيسي بأعلى رتبة

يتقدمون بأحر التهاني
والأمنيات القلبية
لجميع المحتلفين بمناسبة حلول
عيد الأضحى المبارك
أعاده الله على الجميع بالخير
واليمن والبركات
كل عام وأنتم بألف خير

يركا – المنطقة الصناعية - ص.ب 1132

هاتف : 04.9562611 فاكس : 04.9562610

البريد الالكتروني: narsha96@gmail.com

توقيعات

رشدي الماضي

أبتعدُ عنّي
كي لا أَراني في الذي مضى
لأُعيدَ تكويني
بئرا
لا ذئب لها
ولا تغدر بها القمصان

– – – – –

سُلحفاة
حبيسة في ساعة الحائط
تُغافل وطءَ العقارب
تنقر خارجا
وتُعْلن الوقت...

– – – – –

أضعُ رأسي على الأَرض
كي تثِقَ بي الرّيح
وتسمع
الماءَ يبكي ويضحك
من خلفهِ بحر خلفه نهر
فلا يرمي الشَّمال
بداء الظّمأ...

– – – – –

يتآكلُ أَصيصُ العاطفة
فأتذكَّرُني
لكن ليس ذاك الطّفل
الذي خابَ ظنّي بهِ
وهو يتعثّر بفردوسِهِ المفقود!!!

– – – – –

أَعودُ... مِن علوّ الهاوية
مُحَمّلاً بسلالم نَسِيَتْها السَّاحرة
قُرْبَ بئر الغد...

– – – – –

تعلَّمتُ
كيف أمرُّ من اللّيل
أتركهُ مكانَهُ
وأَذهب لأحلم حيث الظّلّ يكفي للنُّعاس

– – – – –

حين
اسمعُ الصّباح يقول:-
سآتي معك
أعرفُ... أنّهُ أطلق سراح القصيدة

– – – – –

أَدخلُ
باب الحديقة
ألمُّ مِن أقاصي سُرَّة الزَّمن
ألمُّ صُبحاً يُبلّلهُ النَّدى...

– – – – –

يُفْرط
في ثوالي البرق
يفرط الوقتُ في سهوٍ وفي سَهَر
ويمضي
كي أرى
ولو حلما واحداً أَو أقلّ...

– – – – –

أُطعم
الجوعَ للسَّحابة
وهي تمرّ على مهْلها قُربَ أيّامي
ليأتي شتاءٌ جديد
ويُبلّلُ قميصَ القصيدةِ
مطراً
مطراً
مطرْ

كلية الهندسيين سخنين

بفروعها: سخنين, باقة الغربية والناصرة

مسارات التعليم للهندسة:

هندسي بناء (هندسة مدنية)	هندسي تصميم معماري وديكور داخلي	هندسي برمجة حاسوب	هندسي كيمياء الاغذية	هندسي بيوتكنولوجيا	هندسي كهرباء
هندسي ادارة اعمال - تسويق وادارة	هندسي سيارات	هندسي مياه	هندسي تصميم وجرافيكا	سنه تحضيرية	

مسارات وحدة التعليم الخارجيّ:

ادارة شاملة "ادارة, حسابات, سكرتارية" | تصميم وديكور داخليّ | أوبتيكا | كهربائيّ مؤهل

مدير مشروع (بناء)

04-6611155/6

قراءة تأويليّة لقصيدة

«الوقت» لأدونيس

الحلقة الأولى

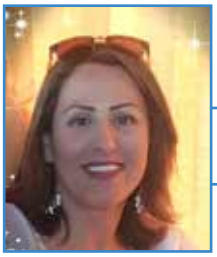

أعدّتها هديل كيّال

الملخّص

هذا البحث محاولة لقراءة نصّ شعريّ حديث قراءة تأويليّة، يقف فيه البحث على أهمّ طروحاته، فيستخلص رموزه ليبيّن دلالتها، ويوضّح تجلّياتها.

اتّجه أدونيس في قصيدة «الوقت» نحو توظيف التراث توظيفا متنوّعا مع الحرص على الانتقال بهذا التراث إلى شكل يتلاءم مع رؤيته وحلمه ومقصده، لذلك كانت القصيدة تخصيصا للموروث وللأسطورة وللنماذج البشريّة. ولعلّ هذا يدلّ دلالة واضحة على مقدرة القصيدة في مواكبة الحداثة الشعريّة المعاصرة دون الانفصال عن الأصالة والتراث.

ويحاول أدونيس إعادة اكتشاف الذات من خلال العودة إلى التراث الإنسانيّ واستلهامه وتوظيفه، والرغبة في موضعة عواطفه، والتجرّد من ذاتيّته، والابتعاد عن الغنائيّة المباشرة، والاقتراب من المونولوج الدراميّ والكثافة الرمزيّة.

المقدّمة

ينطلق هذا البحث من كون القصيدة حاملة لجملة من الثيمات، تنطوي في الواقع على محاولة لكشف مجموعة من الرؤى الفكريّة الخاصّة بالشاعر، وهي بالتالي تمثّل موقف الشاعر إزاء ما تتضمّنه القصيدة من طروحات يسطّرها أدونيس في مقولاته الفكريّة. رصد البحث الوقت/التغيير الذي يشهده الواقع والموافق لحركة الزمن كما تجلّى في لوحات القصيدة وأبرزَ التقاطع بين الوقت والواقع فجعل للقصيدة بعدا وجوديّا وإنسانيّا واجتماعيّا.

ليس هذا أوّل بحث في العربيّة يختار القصيدة موضوعا للدراسة، فقد سبقته دراسات قليلة جدّا، كان أبرزها، دراسة نايف العجلوني «قراءة في قصيدة الوقت» التي نُشرت عام 1989، إلّا أنّها كانت قراءة تحليليّة نقديّة لا تأويليّة. وهناك دراسة أخرى لمريم جبر فريحات الموسومة بـ «الزمن في شعر أدونيس

قصيدة الوقت نموذجا» والتي نُشرت عام 2006.

نشرت قصيدة «الوقت» في كتاب «الحصار» الذي أعدّه أدونيس في حالة الحصار التي فرضها الاجتياح الإسرائيليّ على لبنان بين 1982-1985، فكانت الحالة من أبرز الهواجس التي شغلت بال الشاعر في قصيدته هذه، إذ حملت كثيرا من الإشارات إلى لبنان وبيروت وحالة الموت والدمار التي فرضها الحصار، ولعلّ قصيدة «الوقت» تمثّل انعكاسا لسوداويّة الاجتياح وحالة الحرب التي تحياها بيروت.

مع هذا، نصّ القصيدة لا يأبه بالحدث التاريخيّ بتفاصيله السرديّة، بل استثمره حيّزا لخلق تجربة فنّيّة جماليّة تتجاوز الطارئ والموجود إلى أفق وكون أكثر رحابة. كأنّ انفجارات بيروت، وجثث الضحايا فجّرت ما كان مسكوتا عنه في وعي الشاعر. هو حصار للجسد أثناء الاجتياح و»تفجّر» للفعل الكتابيّ وما يضمر من قيود قديمة.

القصيدة مكوّنة من لوحات عن أحوال ترتبط بالذات والكون، ولأنّ الأحوال وليدة الوقت، كان الزمن

يتحرّك ويرسم اللوحات ترافقه لغة حيّة متجدّدة شاءت القوّة لها أن تتمرّد شكلا ومضمونا في هذه القصيدة.

إنّ طبيعة البحث هي التي حدّدت نمطية سيره، فالبحث يحاول أن يقارب قصيدة «الوقت» وتأويلاتها المتعدّدة، وذلك من خلال فكّ شيفرة الرموز الكثيرة الحاضرة، ورصد الأساطير الموظَّفة، لذلك توسّل البحث المنهج الاستنباطيّ بغية الوصول إلى كشف المغمور وملء الفجوات الكثيرة.

أمّا مكتبة البحث التي انطلق العمل منها في تأويل القصيدة كانت المصادر الخاصّة بالشاعر أدونيس وأهمّها: مقدّمة للشعر العربيّ، زمن الشعر، ها أنت أيّها الوقت، كتاب الحصار، خواطر حول تجربتي الشعريّة. وغيرها من الكتب التي تُعنى بالتأويل والأسطورة وشعر أدونيس.

في توظيف الأسطورة عند أدونيس نتحدّث عن سؤال اللغة الذي يطرحه أدونيس وتوقه الدائم إلى التحرّر من سلطتها كعائق للإنتاجيّة ولي كوطن للكينونة، حيث تتحوّل اللغة إلى سفر لا محدود من خلال إعادة أدونيس تأسيس الحوار الشعريّ والذي يستمرّ في تأمّل تجربته الشعريّة في بعدها الإشاريّ والرمزيّ، فجاء هذا البحث في محاولة قراءة تأويليّة لـقصيدة «الوقت» التي ترسّخت فيها ملامح التجديد في شعره.

تأسيس

القصيدة الحديثة نوع من الكشف والارتياد، بمقدار ما هي نوع من المعاناة المرهقة والجهد المضني. إنّها بالنسبة للشاعر مغامرة يحاول من خلالها أن يعيد اكتشاف الوجود، وأن يكسبه معنى جديدا غير معناه العادي المبتذل، ووسيلته إلى ذلك هي النفاذ إلى صميم هذا الوجود لاكتشاف تلك العلاقات الخفيّة الحميمة التي تربط بين عناصره ومكوّناته المختلفة، حتّى تلك التي تبدو في الظاهر على أكبر قدر من التباعد والتنافر، وهو في سبيل وصوله إلى هذه العلاقات الخفيّة الحميمة بين عناصر الوجود كثيرا ما يتجاوز العلاقات الظاهرة المحسوسة والمنطقيّة بين هذه العناصر، تلك العلاقات التي لا تلتقط سواها النظرة العاديّة التي تقف عند ظاهر الأشياء، بل إنّ الشاعر كثيرا ما يحطّم هذه العلاقات الظاهريّة المألوفة، لتتحوّل عناصر الوجود وأشياؤه إلى مجرّد مفردات وأدوات في يديه يشكّل بها عالمه الشعريّ الخاصّ، أو يعيد بها صياغة العالم وفق رؤيته الشعريّة الخاصّة، على نحو يزيده عمقا وثراء واكتمالا.[1]

وأدونيس واحد من كبار شعراء العرب الذين قطعوا شوطا كبيرا في القصيدة الحداثيّة، فهو ما فتئ يتمرّس في الكتابة الشعريّة، ويطوّر تجربته، فنراه يحوّل «الشعر إلى فعل حياة وإيمان، وفيه قشعريرة غنائيّة مشبعة بلهب التمرّد على الواقع، والمتطلّع إلى واقع أكثر سموّا وأبهى».[2]

كما أنّه من أبرز الشعراء الذين يميلون إلى توظيف الرمز في نتاجاته الشعريّة، وقد برع في استخدام الرموز واللغة المنزاحة إلى حدّ يصعب فهم أشعاره لدى القارئ أحيانا. لقد ركّز في نتاجاته على توظيف العناصر الطبيعيّة في رمزيّته، وكانت النار من أهمّ هذه العناصر حضورا بكثافة وعناية مقصودة فيها.

فالشعر بالنسبة لأدونيس يُعدّ الملاذ والملجأ، والابتكار والخلق في الشعر ليس فقط لإثراء المصطلح

1 علي عشري زايد. عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة. ص11.

2 أدونيس. مقدّمة للشعر العربيّ. ص43.

نسيج زمان

بإدارة: فادي عثمان

نتقدم باحر التهاني
بمناسبة حلول
عيد الأضحى المبارك
اعاده الله على الجميع
باليمن والخير والبركات

تعالوا وتمتّعوا بعبق الماضي الجميل

لمغار (طريق راس الخابية) هاتف: 058-6565656 نسيج المغار Naseej_zaman

الشعريّ، وإنّما تعامل مع الرمز والتوحّد معه، الوثوق به كملجأ من سطوة العالم والشكّ في العالم ذاته حينا آخر، من هنا نرى أنّ شعر أدونيس قائم على الشكّ المستمرّ والعميق، وهذا ما نجده في مادّته الشعريّة الرؤيويّة المشحونة بفيض التراكيب الرمزيّة والثورة على النسق القديم من حيث الشكل والمضمون.

وفي خضمّ هذا البناء الجديد لأدونيس، «الشعر ذاته مؤوَّل ومؤوِّل، فهو يخوض مغامرة القراءة بمعناها الشامل للذات والمكان والتاريخ والتراث لولوج دروب الفهم العميق للكينونة، والفهم لا يعني طلب اليقين كما هو شأن فلاسفة العقل، بل هو الذي يضع كلّ يقين موضوع سؤال اللغة لذلك كان التأويل هو أساس العلاقة بين الكائن والكينونة».[3]

عنوان القصيدة «الوقت»

«الوقت ما أنت فيه.»

أوّل ما يلقانا من القصيدة عنوانها، وإن كان هو آخر كلماتها وحركاتها، وما تولّد عنها، وهو أهمّ ما فيها، اختاره الشاعر، ودفع به إلى موقع الصدارة عن قصد ووعي. وهو أوّل خطاب لغويّ لفظيّ يواجه القارئ، ويوجّه أفق انتظاره للنصّ، بل يلخّصه له في أحيان كثيرة، لذا كان من الضروريّ الوقوف على عنوان القصيدة «الوقت».

فهو مصطلح إجرائيّ ناجح في مقاربة النصّ الأدبيّ ومفتاح أساس يتسلّح به الدارس للولوج إلى أغوار النصّ العميقة قصد استنطاقها وتأويلها.[4]

ويعدّ العنوان عتبة من عتبات النصّ، يمتلك بنية ودلالة لا تنفصل عن خصوصيّة العمل الأدبيّ. وبما أنّ القصيدة عبارة عن مجموعة من الجزئيّات المنظّمة فإنّ ذلك يقود إلى أن يصير العنوان جزءا من تلك المجموعة؛ لا تقتصر وظيفته على مجرّد تسمية العمل فقط، وإنّما يتجاوزه ليتضمّنه أيضا، تماما، مثلما يتضمّن هذا الأخير العنوان.

يوحي عنوان القصيدة «الوقت» إلى الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا انعكس فيما تضمّنته القصيدة من إلحاح في وصف الحاضر المتفجّر، وفي إطلالة إلى الماضي، وفي استشراف مستقبل تحاول القصيدة أن ترسمه غدا جديدا ومتجدّدا، إلحاح في إبراز عنصر الزمن. يبدو أنّ بؤرة القصيدة تكمن هنا، في هذا الزمن الذي يسعى الإنسان إلى تغييره، بعد إدراكه وفهمه.

وقد يذهب البحث إلى أبعد من ذلك، ويرى أنّ الوقت بصيغته المُعرّفة هو وقتك أنت، وقت الذات، فينسبه إلى من يعيشه، ومن عليه أن يتحمّل مسؤوليّته، فمن مفاهيم الصوفيّة للوقت: «الوقت ما أنت فيه، وإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن»[5]، فلا وجود ولا حياة من دون الوقت. وقد يكون الوقت، وقت الحصار، وهو اسم الكتاب الذي نُشرت في القصيدة وكانت الأولى من بين القصائد. ووقت الحصار ليس كأيّ

3 عبد العزيز بومسهولي. الشعر والتأويل، قراءة في شعر أدونيس. ص11-10.

4 يُنظر: جميل حمداوي. السيميوطيقا والعنونة. ص96.

5 القشيري. الرسالة القشيريّة في علم التصوّف. ص55.

وقت، هو وقت الحاضر المهشّم والمتفجّر، وإذا كان الأمر كذلك، تفضي القصيدة إلى تصوير هذا الوقت بمختلف دلالاته، وتقاطعاته مع الذات الإنسانيّة المتمثّلة بالمتكلّم/ الشاعر، والمكان والرموز، فتُفتح أبواب القصيدة على فضاء غير محدود.

كما أنّ اختيار الشاعر لــ «الوقت» عنوانا للقصيدة، يكشف مدى إحساسه بوطأة الزمن، وعمق إحساسه به، ومن ثمّ تطلّعه لصياغة مستقبل مختلف لأمّته، مستقبل أفضل ممّا كان وما هو كائن في الوقت الراهن. فبين الوقت والشعر علاقة بناء وخلق عند أدونيس، فالوقت «له جرس ولا يرنّ رنينه الموقظ، المغَيّر على النحو الأكثر جمالا وعمقا إلّا في الشعر».[6]

مطلع القصيدة- جملة مفصليّة

إنّما المطالع الجيّدة للقصائد الجيّدة.

«حاضنا سنبلةَ الوقتِ ورأسي برج نار»

جملة مكثّفة لغويّا ومعنويّا، تثير الكثير من الأسئلة فتساعد على استجلاء كوامن القصيدة وكشف عوالمها وبناها الفكريّة.

تكرّرت افتتاحيّة القصيدة في بداية معظم اللوحات، الأمر الذي جعلها الجملة المفصليّة الرئيسة في القصيدة، وثمّة جملتان أخريان توازيانها، في بداية اللوحتين الأخيرتين، وهما: «حاضنا أرضي وأسرار هواها» و«كاشفا للوقت أسرار هواه». فالقصيدة تكوّنت من لوحات[7]، وكلّ لوحة تشكّل مفصلا ينعطف بالقصيدة نحو رؤيا جديدة تحقّق في كلّ مرّة تفجيرا جديدا للقصيدة إلى أن تصل إلى اللوحة الأخيرة المنشودة.

بذا تأتي جملة «حاضنا سنبلة الوقت ورأسي برج نار» بمنزلة مفصل يحوّل اتّجاه القصيدة تدريجيّا من ضغط الحاضر المتأتّي من الماضي، إلى انفراج المستقبل الذي يرسمه ويصنعه الشاعر على أطلال الحاضر والماضي معا. وكأنّها ملاذ وملجأ وابتكار وخلق، وكأنّ الشاعر يتوّحد معها رمزا، ويثق بها ملجأً من سطوة العالم والشكّ في العالم ذاته حينا آخر.

«حاضنا»: تحمل دلالة الاحتواء الكامل والاتّحاد والحرص، وتشير إلى صاحب الحال المتكلّم/ الشاعر فيظهر ممتلكا للوقت متّحدا بشموليّته، و«سنبلة»: بذرة النمو والاستمرار، فالسنبلة تحمل دلالة النماء والامتداد، و«الوقت»: بدلالاته المختلفة الماضي/المرفوض، والحاضر/ الموجود والمتمرّد عليه، والمستقبل/ المنشود. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا الرفض لا يُقصد به الانفصال التامّ عن الماضي، بل إعادة قراءته وبنائه، وهذا يتّفق مع ما قاله أدونيس على لسان إليوت: «إنّ الحاضر ينبغي أن يغيّر الماضي بمقدار ما يوجّه الماضي الحاضر».

فسنبلة الوقت التي يحضنها المتكلّم/ الشاعر هي صورة تحمل كثيرا من دلالات التعلّق بأسباب الحياة والحنو عليها. وكما قال درويش «وحبوب سنبلة تموت ستملأ الوادي سنابل»، فارتباط السنبلة بالوقت

6 أدونيس. النصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة. ص87.

7 في كتاب «الحصار» وفي مستهلّ القصيدة، ذكر الشاعر كلمة «مقاطع» ولكن ارتأى البحث أن يعدّها لوحات لأنّ كلّ لوحة منها تحمل أكثر من مقطع.

يشي بحتميّة استمرار الحياة طالما كانت الحياة مرتبطة بالزمن بالرغم من كلّ ما يعتري الأخير من مظاهر الأفول الآنيّة.

و»رأسي برج نار» وهو في الوقت نفسه يهب نفسه لأمّته منارة تحترق في مذبح تاريخها وحاضرها فداء لمستقبل آت.[8] فلكي يكتمل دور الشاعر في سعيه للثورة وللتغيير، وجب عليه أن يقود هذا التغيير.

و(النّار) مفردة تحمل في طيّاتها شحنات دلاليّة كثيرة بإمكانها أن تسهم في تأويل النصّ وديناميكيّته.

-فالنار/ العَلَم هي الدليل لطريق الثورة (كأنّه علمٌ في رأسه نارٌ) إذ يستحضر من الذاكرة التراثيّة ما ورد عند الخنساء في رثاء أخيها صخر، وعُرف عن صخر شجاعته وقيادته السليمة.

وللنار عند العرب في عصر الجاهليّة مكانة مرموقة في معتقداتهم؛ إنّهم اعتقدوا بقواها السحريّة، وكان هؤلاء يعقدون اجتماعاتهم وسهراتهم حول النار، وكانوا يقسمون بالنار، ويتحالفون على النار، ويستسقون بالنار، ويقرّون ضيوفهم بالنار، وقد يداوون مرضاهم بالنار، وعندهم نار القِرى، ونار الحرب، ونار السليم، ونار السلامة، ونار الرسم، ونار الطلّ، ونار الصيد.. إلخ.[9]

-ولهذه النار قيمة أسطوريّة فهي ترمز للمعرفة الإنسانيّة ولرغبة الحصول عليها؛ فقد ألحقت ببروميثيوس[10] العقاب وديمومة العذاب والوجع حين نقلها إلى البشر. هذه الثنائيّة الضدّيّة من السلب والإيجاب في دلالة النار» تتجلّى في القصيدة بوضوح، فهي مصدر الموت ومنبع الحياة معا.

-ولعلّها نار المجوس[11] التي لا تخمد أبدا، وتحمل في دلالتها وعدا باستمرار الثورة والدعوة إلى التغيير.

أم أنّها نار الفينيق؟ التي وإن خمدت ستبعث من رمادها حياة جديدة، وفي هذه النار الخصب والنماء والبعث والتجديد.

و»رأسي» والرأس: أعلى ما فيه، وموطن الفكر والعقل والإبداع. ويصرّح علانيّة ويقدّم نفسه المتكلّم/ الشاعر بجرأة وقوّة وشجاعة أمام القارئ قائدا ورائدا للحلم الذي يسعى إلى تحقيقه.

يستحضر من التراث شخصيّة الإسكندر الأكبر/ الكبير في محاولة للمقاربة واتّساع المعنى، نقلا عن ريتا عوض: «أنّه في الموقع الذي وُجد فيه مزار الخضر وُجد هيكل إغريقيّ ويظهر في الهيكل رأس الإسكندر الكبير ممثّلا كإله الشمس، يشعّ النور من رأسه. وتروي قصّة الإسكندر التي جاءت مفصّلة في الأدب

8 مريم جبر فريحات. الزمن في شعر أدونيس. ص60.

9 يُنظر: كامل عبد ربّه الجبّوري. النار دلالاتها الفنّيّة والموضوعيّة في الشعر الجاهليّ. ص54-13.

10 تروي الأساطير اليونانيّة أنّ بروميثيوس وهو أحد الجبابرة السبعة (التيتان) هو من تصدّى لزيوس ربّ الأرباب من أجل صالح البشر الذين أرادت الآلهة حرمانهم من المعرفة، لقد كان أكثر الآلهة حكمة، فعندما ولد علّمته أثينا، ربّة الحكمة، كلّ العلوم: العمارة، والفلك والرياضيات والملاحة والطب وكلّ الفنون النافعة، فقام بدوره بنقلها للبشر، ممّا أوغر عليه صدر أبيه زيوس؛ الذي كان قد اتّخذ قرارًا بأن يفنى الجنس البشري كلّه. ولكنّ البشر، بما ملكوا من معرفة، تحدّوا ربّ الأرباب وتكاثروا وازدادوا قوّة وموهبة واقتدارًا. فما كان من زيوس ربّ الأرباب إلّا أن حرم البشر من النار، وطرد بروميثيوس من جبل الاوليمبوس مقرّ الآلهة. ولكنّ بروميثيوس تقدّم برجاء إلى ربّة الحكمة أثينا أن تسمح له بأن يدلف خلسة إلى جبل أوليبوس من الدرج الخلفي، وعندما سمحت له بذلك أخذ قَبَسًا من الشمس، وأضاء به شعلة من النار، وأهداها للبشر متحدّيًا ربّ الأرباب، الذي حكم عليه أن يقيّد في الأصفاد عاريًا فوق جبال القوقاز حيث تأكل الطيور الجارحة من كَبِده ليل نهار، وسنة بعد سنة، وكلّما أجهزت عليه الطيور ينمو كبِدُه مرّة أخرى حتّى يظلّ في العذاب المقيم إلى أبد الآبدين.

11 أبناء الديانة الزرادشتيّة. يعدّون النار والماء من طقوس الطهارة الروحيّة. فالنار تُعدّ الوسط الذي يزود الإنسان بالحكمة، والماء يعتبر مصدر هذه الحكمة.

السريانيّ كيف ذهب الإسكندر وطاهيه اندرياس في رحلة طويلة إلى أرض الظلام للبحث عن ينبوع الحياة».[12] وقد يستدعي هذا الرأس صورة رأس أورفيوس[13]، وهو شخصيّة أسطوريّة يمكن أن تشكّل قناعا، فأورفيوس تتبع موسيقاه الحيوانات والأشجار وتتوقّف الأنهار عن الجريان كي تستمع إليه، ولعلّ هذا يتواءم وحلم أدونيس في القصيدة.

اللوحة الأولى

(كلمات مفتاحيّة: الحاضر، اللغة، الأفول، التاريخ)

حاضنا سنبلة الوقت، ورأسي برج نار:

ما الدّمُ الضّاربُ في الرّملِ، وما هذا الأفولُ؟

قُلْ لَنا، يا لَهَبَ الحاضِرِ، ماذا سنقولُ؟

مِزَقُ التّاريخِ في حُنجرتي

وعلى وجهي أماراتُ الضّحيّةْ

ما أَمَرَّ اللّغةَ الآنَ وما أضيقَ بابَ الأبجديّةْ.

يساءَلُ الحاضر الملتهب عن أفولٍ وعن دم ضارب في الرمل، ولعلّ ما تبقّى من التاريخ هو من سبّب هذا التمزّق والأفول. هذا ليس بجديد في شعر أدونيس وفي كتاباته عموما، فهو يرى أنّ الماضي/ التاريخ هو السبب في تداعي الحاضر وأفوله، وأنّ الاتّجاه نحو المستقبل هو طريق الخلاص، وهذا ما يؤكّده في اللوحة السادسة أيضا حين يقول: «أأنا أكثر من شخص، وتاريخي مهواي، وميعادي حريقي».

حاضرٌ تضيقُ اللغةُ أمامَه وما أمرّها إذ تضيق.. وبالرغم من هذه الصورة التي تتشكّل قاتمة سوداويّة بمفردات الدم/ الأفول/ مزق التاريخ/ أمارات الضحيّة/ أمرّ/ أضيق، نراها تُسبق بجملة افتتاحيّة تحمل إشارة إلى أمل قد يسير إلى القادم من الوقت ليصيرَ بغير أفول. لماذا يذكر اللغة هنا؟ ما علاقة اللغة بذات الشاعر هنا؟

(يتبع)

---

12 يُنظر. ريتا عوض. أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربيّ الحديث. ص60-46.

13 موسيقيٌّ في الأساطير الإغريقيّة والرومانيّة، موسيقى صوته وقيثارته عذبة فكانت تتبعه الحيوانات والأشجار والأحجار، وتتوقّف الأنهار عن الجريان كي تستمع إليه.

محلات كهرباء

כל מחיר מנצח

TENאלקטריק

שירות ואחריות

אלקטרה

يركا بناية اخوان حبيش

04-9969882/04-9996361

حبيش

هلم وقر

نتقدم باحر التهاني

بمناسبة حلول

عيد الاضحى المبارك

اعاده الله على الجميع

باليمن والخير والبركات

SAMSUNG AEG ZANUSSI Sauter BOSCH Electrolux

اتّجاهات جديدة في

أدب نجوى قعوار فرح

الحلقة الأولى

بقلم: د.روز اليوسف شعبان

الملخّص

هذا البحث محاولة لقراءة نصّ شعريّ حديث قراءة تأويليّة، يقف فيه البحث على أهمّ طروحاته، فيستخلص رموزه ليبيّن دلالتها، ويوضّح تجلّياتها.

اتّجه أدونيس في قصيدة «الوقت» نحو توظيف التراث توظيفا متنوّعا مع الحرص على الانتقال بهذا التراث إلى شكل يتلاءم مع رؤيته وحلمه ومقصده، لذلك كانت القصيدة تخصيصا للموروث وللأسطورة وللنماذج البشريّة. ولعلّ هذا يدلّ دلالة واضحة على مقدرة القصيدة في مواكبة الحداثة الشعريّة المعاصرة دون الانفصال عن الأصالة والتراث.

ويحاول أدونيس إعادة اكتشاف الذات من خلال العودة إلى التراث الإنسانيّ واستلهامه وتوظيفه، والرغبة في موضعة عواطفه، والتجرّد من ذاتيّته، والابتعاد عن الغنائيّة المباشرة، والاقتراب من المونولوج الدراميّ والكثافة الرمزيّة.

المقدّمة

ينطلق هذا البحث من كون القصيدة حاملة لجملة من الثيمات، تنطوي في الواقع على محاولة لكشف مجموعة من الرؤى الفكريّة الخاصّة بالشاعر، وهي بالتالي تمثّل موقف الشاعر إزاء ما تتضمّنه القصيدة من طروحات يسطّرها أدونيس في مقولاته الفكريّة. رصد البحث الوقت/التغيير الذي يشهده الواقع والموافق لحركة الزمن كما تجلّى في لوحات القصيدة وأبرزَ التقاطع بين الوقت والواقع فجعل للقصيدة بعدا وجوديّا وإنسانيّا واجتماعيّا.

ليس هذا أوّل بحث في العربيّة يختار القصيدة موضوعا للدراسة، فقد سبقته دراسات قليلة جدّا، كان

أبرزها، دراسة نايف العجلوني «قراءة في قصيدة الوقت» التي نُشرت عام 1989، إلّا أنّها كانت قراءة تحليليّة نقديّة لا تأويليّة. وهناك دراسة أخرى لريم جبر فريحات الموسومة بـ «الزمن في شعر أدونيس قصيدة الوقت نموذجا» والتي نُشرت عام 2006.

نشرت قصيدة «الوقت» في كتاب «الحصار» الذي أعدّه أدونيس في حالة الحصار التي فرضها الاجتياح الإسرائيليّ على لبنان بين 1982-1985، فكانت الحالة من أبرز الهواجس التي شغلت بال الشاعر في قصيدته هذه، إذ حملت كثيرا من الإشارات إلى لبنان وبيروت وحالة الموت والدمار التي فرضها الحصار، ولعلّ قصيدة «الوقت» تمثّل انعكاسا لسوداويّة الاجتياح وحالة الحرب التي تحياها بيروت.

مع هذا، نصّ القصيدة لا يأبه بالحدث التاريخيّ بتفاصيله السرديّة، بل استثمره حيّزا لخلق تجربة فنّيّة جماليّة تتجاوز الطارئ والموجود إلى أفق وكون أكثر رحابة. كأنّ انفجارات بيروت، وجثث الضحايا

فجّرت ما كان مسكوتا عنه في وعي الشاعر. هو حصار للجسد أثناء الاجتياح و»تفجّر» للفعل الكتابيّ وما يضمر من قيود قديمة.

القصيدة مكوّنة من لوحات عن أحوال ترتبط بالذات والكون، ولأنّ الأحوال وليدة الوقت، كان الزمن يتحرّك ويرسم اللوحات ترافقه لغة حيّة متجدّدة شاءت القوّة لها أن تتمرّد شكلا ومضمونا في هذه القصيدة.

إنّ طبيعة البحث هي التي حدّدت نمطية سيره، فالبحث يحاول أن يقارب قصيدة «الوقت» وتأويلاتها المتعدّدة، وذلك من خلال فكّ شيفرة الرموز الكثيرة الحاضرة، ورصد الأساطير الموظَّفة، لذلك توسّل البحث المنهج الاستنباطيّ بغية الوصول إلى كشف المغمور وملء الفجوات الكثيرة.

أمّا مكتبة البحث التي انطلق العمل منها في تأويل القصيدة كانت المصادر الخاصّة بالشاعر أدونيس وأهمّها: مقدّمة للشعر العربيّ، زمن الشعر، ها أنت أيّها الوقت، كتاب الحصار، خواطر حول تجربتي الشعريّة. وغيرها من الكتب التي تُعنى بالتأويل والأسطورة وشعر أدونيس.

في توظيف الأسطورة عند أدونيس نتحدّث عن سؤال اللغة الذي يطرحه أدونيس وتوقه الدائم إلى التحرّر من سلطتها كعائق للإنتاجيّة ولي كوطن للكينونة، حيث تتحوّل اللغة إلى سفر لا محدود من خلال إعادة أدونيس تأسيس الحوار الشعريّ والذي يستمرّ في تأمّل تجربته الشعريّة في بعدها الإشاريّ والرمزيّ، فجاء هذا البحث في محاولة قراءة تأويليّة لـقصيدة «الوقت» التي ترسّخت فيها ملامح التجديد في شعره.

تأسيس

القصيدة الحديثة نوع من الكشف والارتياد، بمقدار ما هي نوع من المعاناة المرهقة والجهد المضني. إنّها بالنسبة للشاعر مغامرة يحاول من خلالها أن يعيد اكتشاف الوجود، وأن يكسبه معنى جديدا غير معناه العادي المبتذل، ووسيلته إلى ذلك هي النفاذ إلى صميم هذا الوجود لاكتشاف تلك العلاقات الخفيّة الحميمة التي تربط بين عناصره ومكوّناته المختلفة، حتّى تلك التي تبدو في الظاهر على أكبر قدر من التباعد والتنافر، وهو في سبيل وصوله إلى هذه العلاقات الخفيّة الحميمة بين عناصر الوجود كثيرا ما يتجاوز العلاقات الظاهرة المحسوسة والمنطقيّة بين هذه العناصر، تلك العلاقات التي لا تلتقط سواها النظرة العاديّة التي تقف عند ظاهر الأشياء، بل إنّ الشاعر كثيرا ما يحطّم هذه العلاقات الظاهريّة المألوفة، لتتحوّل عناصر الوجود وأشياؤه إلى مجرّد مفردات وأدوات في يديه يشكّل بها عالمه الشعريّ الخاصّ، أو يعيد بها صياغة العالم وفق رؤيته الشعريّة الخاصّة، على نحو يزيده عمقا وثراء واكتمالا.[1]

وأدونيس واحد من كبار شعراء العرب الذين قطعوا شوطا كبيرا في القصيدة الحداثيّة، فهو ما فتئ يتمرّس في الكتابة الشعريّة، ويطوّر تجربته، فنراه يحوّل «الشعر إلى فعل حياة وإيمان، وفيه قشعريرة غنائيّة مشبعة بلهب التمرّد على الواقع، والمتطلّع إلى واقع أكثر سموّا وأبهى».[2]

كما أنّه من أبرز الشعراء الذين يميلون إلى توظيف الرمز في نتاجاته الشعريّة، وقد برع في استخدام

1 علي عشري زايد. عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة. ص11.

2 أدونيس. مقدّمة للشعر العربيّ. ص43.

أتقدم بأحر التّهاني وأجمل الأماني القلبية

لأهالي بلدي، أبو سنان، وإلى جميع المحتفلين

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك

أعاده الله على الجميع بالخير واليمن والبركات

وقد حل السلام والاستقرار في ربوع بلادنا الحبيبة

وراجيًا من الله حفظ بلدنا، النهوض بها والارتقاء بأهلها لمواكبة تطورات العصر

وتحسين جودة الحياة فيها.

كل عام وانتم بألف خير

أخوكم فوزي مشلب «أبو عاطف»

رئيس مجلس أبو سنان المحلي

الرموز واللغة المنزاحة إلى حدّ يصعب فهم أشعاره لدى القارئ أحيانا. لقد ركّز في نتاجاته على توظيف العناصر الطبيعيّة في رمزيّته، وكانت النار من أهمّ هذه العناصر حضورا بكثافة وعناية مقصودة فيها.

فالشعر بالنسبة لأدونيس يُعدّ الملاذ والملجأ، والابتكار والخلق في الشعر ليس فقط لإثراء المصطلح الشعريّ، وإنّما تعامل مع الرمز والتوحّد معه، الوثوق به كملجأ من سطوة العالم والشكّ في العالم ذاته حينا آخر، من هنا نرى أنّ شعر أدونيس قائم على الشكّ المستمرّ والعميق، وهذا ما نجده في مادّته الشعريّة الرؤيويّة المشحونة بفيض التراكيب الرمزيّة والثورة على النسق القديم من حيث الشكل والمضمون.

وفي خضمّ هذا البناء الجديد لأدونيس، «الشعر ذاته مؤوَّل ومؤوِّل، فهو يخوض مغامرة القراءة بمعناها الشامل للذات والمكان والتاريخ والتراث لولوج دروب الفهم العميق للكينونة، والفهم لا يعني طلب اليقين كما هو شأن فلاسفة العقل، بل هو الذي يضع كلّ يقين موضوع سؤال اللغة لذلك كان التأويل هو أساس العلاقة بين الكائن والكينونة».[3]

عنوان القصيدة «الوقت»

«الوقت ما أنت فيه.»

أوّل ما يلقانا من القصيدة عنوانها، وإن كان هو آخر كلماتها وحركاتها، وما تولّد عنها، وهو أهمّ ما فيها، اختاره الشاعر، ودفع به إلى موقع الصدارة عن قصد ووعي. وهو أوّل خطاب لغويّ لفظيّ يواجه القارئ، ويوجّه أفق انتظاره للنصّ، بل يلخّصه له في أحيان كثيرة، لذا كان من الضروريّ الوقوف على عنوان القصيدة «الوقت».

فهو مصطلح إجرائيّ ناجح في مقاربة النصّ الأدبيّ ومفتاح أساس يتسلّح به الدارس للولوج إلى أغوار النصّ العميقة قصد استنطاقها وتأويلها.[4]

ويعدّ العنوان عتبة من عتبات النصّ، يمتلك بنية ودلالة لا تنفصل عن خصوصيّة العمل الأدبيّ. وبما أنّ القصيدة عبارة عن مجموعة من الجزئيّات المنظّمة فإنّ ذلك يقود إلى أن يصير العنوان جزءا من تلك المجموعة؛ لا تقتصر وظيفته على مجرّد تسمية العمل فقط، وإنّما يتجاوزه ليتضمّنه أيضا، تماما، مثلما يتضمّن هذا الأخير العنوان.

يوحي عنوان القصيدة «الوقت» إلى الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا انعكس فيما تضمّنته القصيدة من إلحاح في وصف الحاضر المتفجّر، وفي إطلالة إلى الماضي، وفي استشراف مستقبل تحاول القصيدة أن ترسمه غدا جديدا ومتجدّدا، إلحاح في إبراز عنصر الزمن. يبدو أنّ بؤرة القصيدة تكمن هنا، في هذا الزمن الذي يسعى الإنسان إلى تغييره، بعد إدراكه وفهمه.

وقد يذهب البحث إلى أبعد من ذلك، ويرى أنّ الوقت بصيغته المُعرّفة هو وقتك أنت، وقت الذات، فينسبه إلى من يعيشه، ومن عليه أن يتحمّل مسؤوليّته، فمن مفاهيم الصوفيّة للوقت: «الوقت ما أنت فيه، وإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن

3 عبد العزيز بومسهولي. الشعر والتأويل، قراءة في شعر أدونيس. ص11-10.

4 يُنظر: جميل حمداوي. السيميوطيقا والعنونة. ص96.

كنت بالحزن فوقتك الحزن»[5]، فلا وجود ولا حياة من دون الوقت. وقد يكون الوقت، وقت الحصار، وهو اسم الكتاب الذي نُشرت في القصيدة وكانت الأولى من بين القصائد. ووقت الحصار ليس كأيّ وقت، هو وقت الحاضر المهشّم والمتفجّر، وإذا كان الأمر كذلك، تفضي القصيدة إلى تصوير هذا الوقت بمختلف دلالاته، وتقاطعاته مع الذات الإنسانيّة المتمثّلة بالمتكلّم/ الشاعر، والمكان والرموز، فتُفتح أبواب القصيدة على فضاء غير محدود.

كما أنّ اختيار الشاعر لــ «الوقت» عنوانا للقصيدة، يكشف مدى إحساسه بوطأة الزمن، وعمق إحساسه به، ومن ثمّ تطلّعه لصياغة مستقبل مختلف لأمّته، مستقبل أفضل ممّا كان وما هو كائن في الوقت الراهن. فبين الوقت والشعر علاقة بناء وخلق عند أدونيس، فالوقت «له جرس ولا يرنّ رنينه الموقظ، المغَيّر على النحو الأكثر جمالا وعمقا إلّا في الشعر».[6]

مطلع القصيدة- جملة مفصليّة

إنّما المطالع الجيّدة للقصائد الجيّدة.

«حاضنا سنبلةَ الوقتِ ورأسي برج نار»

جملة مكثّفة لغويّا ومعنويّا، تثير الكثير من الأسئلة فتساعد على استجلاء كوامن القصيدة وكشف عوالمها وبناها الفكريّة.

تكرّرت افتتاحيّة القصيدة في بداية معظم اللوحات، الأمر الذي جعلها الجملة المفصليّة الرئيسة في القصيدة، وثمّة جملتان أخريان توازيانها، في بداية اللوحتين الأخيرتين، وهما: «حاضنا أرضي وأسرار هواها» و«كاشفا للوقت أسرار هواه». فالقصيدة تكوّنت من لوحات[7]، وكلّ لوحة تشكّل مفصلا ينعطف بالقصيدة نحو رؤيا جديدة تحقّق في كلّ مرّة تفجيرا جديدا للقصيدة إلى أن تصل إلى اللوحة الأخيرة المنشودة.

بذا تأتي جملة «حاضنا سنبلة الوقت ورأسي برج نار» بمنزلة مفصل يحوّل اتّجاه القصيدة تدريجيّا من ضغط الحاضر المتأتّي من الماضي، إلى انفراج المستقبل الذي يرسمه ويصنعه الشاعر على أطلال الحاضر والماضي معا. وكأنّها ملاذ وملجأ وابتكار وخلق، وكأنّ الشاعر يتوّحد معها رمزا، ويثق بها ملجأً من سطوة العالم والشكّ في العالم ذاته حينا آخر.

«حاضنا»: تحمل دلالة الاحتواء الكامل والاتّحاد والحرص، وتشير إلى صاحب الحال المتكلّم/ الشاعر فيظهر ممتلكا للوقت متّحدا بشموليّته، و«سنبلة»: بذرة النمو والاستمرار، فالسنبلة تحمل دلالة النماء والامتداد، و«الوقت»: بدلالاته المختلفة الماضي/المرفوض، والحاضر/ الموجود والمتمرّد عليه، والمستقبل/ المنشود. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا الرفض لا يُقصد به الانفصال التامّ عن الماضي، بل إعادة قراءته وبنائه، وهذا يتّفق مع ما قاله أدونيس على لسان إليوت: «إنّ الحاضر ينبغي أن يغيّر الماضي بمقدار ما

---

5 القشيري. الرسالة القشيريّة في علم التصوّف. ص55.

6 أدونيس. النصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة. ص87.

7 في كتاب «الحصار» وفي مستهلّ القصيدة، ذكر الشاعر كلمة «مقاطع» ولكن ارتأى البحث أن يعدّها لوحات لأنّ كلّ لوحة منها تحمل أكثر من مقطع.

يوجّه الماضي الحاضر».

فسنبلة الوقت التي يحضنها المتكلّم/ الشاعر هي صورة تحمل كثيرا من دلالات التعلّق بأسباب الحياة والحنو عليها. وكما قال درويش «وحبوب سنبلة تموت ستملأ الوادي سنابل»، فارتباط السنبلة بالوقت يشي بحتميّة استمرار الحياة طالما كانت الحياة مرتبطة بالزمن بالرغم من كلّ ما يعتري الأخير من مظاهر الأفول الآنيّة.

و«رأسي برج نار» وهو في الوقت نفسه يهب نفسه لأمّته منارة تحترق في مذبح تاريخها وحاضرها فداء لمستقبل آت.[8] فلكي يكتمل دور الشاعر في سعيه للثورة وللتغيير، وجب عليه أن يقود هذا التغيير.

و(النّار) مفردة تحمل في طيّاتها شحنات دلاليّة كثيرة بإمكانها أن تسهم في تأويل النصّ وديناميكيّته.

-فالنار/ العَلَم هي الدليل لطريق الثورة (كأنّه علمٌ في رأسه نارُ) إذ يستحضر من الذاكرة التراثيّة ما ورد عند الخنساء في رثاء أخيها صخر، وعُرف عن صخر شجاعته وقيادته السليمة.

وللنار عند العرب في عصر الجاهليّة مكانة مرموقة في معتقداتهم؛ إنّهم اعتقدوا بقواها السحريّة، وكان هؤلاء يعقدون اجتماعاتهم وسهراتهم حول النار، وكانوا يقسمون بالنار، ويتحالفون على النار، ويستسقون بالنار، ويقرّون ضيوفهم بالنار، وقد يداوون مرضاهم بالنار، وعندهم نار القِرى، ونار الحرب، ونار السليم، ونار السلامة، ونار الرسم، ونار الطلّ، ونار الصيد.. إلخ.[9]

-ولهذه النار قيمة أسطوريّة فهي ترمز للمعرفة الإنسانيّة ولرغبة الحصول عليها؛ فقد ألحقت ببروميثيوس[10] العقاب وديمومة العذاب والوجع حين نقلها إلى البشر. هذه الثنائيّة الضدّيّة من السلب والإيجاب في دلالة النار» تتجلّى في القصيدة بوضوح، فهي مصدر الموت ومنبع الحياة معا.

-ولعلّها نار المجوس[11] التي لا تخمد أبدا، وتحمل في دلالتها وعدا باستمرار الثورة والدعوة إلى التغيير.

أم أنّها نار الفينيق؟ التي وإن خمدت ستبعث من رمادها حياة جديدة، وفي هذه النار الخصب والنماء والبعث والتجديد.

و«رأسي» والرأس: أعلى ما فيه، وموطن الفكر والعقل والإبداع. ويصرّح علانيّة ويقدّم نفسه المتكلّم/ الشاعر بجرأة وقوّة وشجاعة أمام القارئ قائدا ورائدا للحلم الذي يسعى إلى تحقيقه.

---

8 مريم جبر فريحات. الزمن في شعر أدونيس. ص60.

9 يُنظر: كامل عبد ربّه الجبّوري. النار دلالاتها الفنّيّة والموضوعيّة في الشعر الجاهليّ. ص54-13.

10 تروي الأساطير اليونانيّة أنّ بروميثيوس وهو أحد الجبابرة السبعة (التيتان) هو من تصدّى لزيوس ربّ الأرباب من أجل صالح البشر الذين أرادت الآلهة حرمانهم من المعرفة، لقد كان أكثر الآلهة حكمة، فعندما ولد علّمته أثينا، ربّة الحكمة، كلّ العلوم: العمارة، والفلك والرياضيات والملاحة والطب وكلّ الفنون النافعة، فقام بدوره بنقلها للبشر، ممّا أوغر عليه صدر أبيه زيوس؛ الذي كان قد اتّخذ قرارًا بأن يفنى الجنس البشري كلّه. ولكنّ البشر، بما ملكوا من معرفة، تحدّوا ربّ الأرباب وتكاثروا وازدادوا قوّة وموهبة واقتدارًا. فما كان من زيوس ربّ الأرباب إلّا أن حرم البشر من النار، وطرد بروميثيوس من جبل الاوليمبوس مقرّ الآلهة. ولكنّ بروميثيوس تقدّم برجاء إلى ربّة الحكمة أثينا أن تسمح له بأن يدلف خلسة إلى جبل أوليبوس من الدرج الخلفي، وعندما سمحت له بذلك أخذ قَبَسًا من الشمس، وأضاء به شعلة من النار، وأهداها للبشر متحدّيًا ربّ الأرباب، الذي حكم عليه أن يقيّد في الأصفاد عاريًا فوق جبال القوقاز حيث تأكل الطيور الجارحة من كَبِده ليل نهار، وسنة بعد سنة، وكلّما أجهزت عليه الطيور ينمو كبِدُه مرّة أخرى حتّى يظلّ في العذاب المقيم إلى أبد الآبدين.

11 أبناء الديانة الزرادشتيّة. يعدّون النار والماء من طقوس الطهارة الروحيّة. فالنار تُعدّ الوسط الذي يزود الإنسان بالحكمة، والماء يعتبر مصدر هذه الحكمة.

אלום ירכא הצפון בע"מ
ألمنيوم يركا والشمال م.ض

بإدارة : كمال وجمال رمّال

صناعة وانتاج جميع انواع الالمنيوم

* أبواب * شبابيك * تريس

المصنع الوحيد في الشمال مع المواصفات الخاصة

يتقدمون بأحر التهاني والأمنيات القلبية لجميع المحتلفين بمناسبة حلول

عيد الأضحى المبارك

كل عام وأنتم بألف خير

أعاده الله على الجميع بالخير واليمن والبركات

يركا – المنطقة الصناعية هاتف : 04.9963181 فاكس : 04.9962574

كمال : 0573664949 جمال : 0573664945

البريد الإلكتروني : net.bezeqint@alumina

يستحضر من التراث شخصيّة الإسكندر الأكبر/ الكبير في محاولة للمقاربة واتّساع المعنى، نقلا عن ريتا عوض: «أنّه في الموقع الذي وُجد فيه مزار الخضر وُجد هيكل إغريقيّ ويظهر في الهيكل رأس الإسكندر الكبير ممثّلا كإله الشمس، يشعّ النور من رأسه. وتروي قصّة الإسكندر التي جاءت مفصّلة في الأدب السريانيّ كيف ذهب الإسكندر وطاهيه اندرياس في رحلة طويلة إلى أرض الظلام للبحث عن ينبوع الحياة».[12] وقد يستدعي هذا الرأس صورة رأس أورفيوس[13]، وهو شخصيّة أسطوريّة يمكن أن تشكّل قناعا، فأورفيوس تتبع موسيقاه الحيوانات والأشجار وتتوقّف الأنهار عن الجريان كي تستمع إليه، ولعلّ هذا يتواءم وحلم أدونيس في القصيدة.

اللوحة الأولى

(كلمات مفتاحيّة: الحاضر، اللغة، الأفول، التاريخ)

حاضنا سنبلة الوقت، ورأسي برج نار:

ما الدّمُ الضّاربُ في الرّملِ، وما هذا الأفولُ؟

قُلْ لَنا، يا لَهَبَ الحاضِرِ، ماذا سنقولُ؟

مِزَقُ التّاريخِ في حُنجرتي

وعلى وجهي أماراتُ الضّحيّةْ

ما أَمَرَّ اللّغةَ الآنَ وما أضيقَ بابَ الأبجديّةْ.

يساءَلُ الحاضر الملتهب عن أفولٍ وعن دم ضارب في الرمل، ولعلّ ما تبقّى من التاريخ هو من سبّب هذا التمزّق والأفول. هذا ليس بجديد في شعر أدونيس وفي كتاباته عموما، فهو يرى أنّ الماضي/ التاريخ هو السبب في تداعي الحاضر وأفوله، وأنّ الاتّجاه نحو المستقبل هو طريق الخلاص، وهذا ما يؤكّده في اللوحة السادسة أيضا حين يقول: «أأنا أكثر من شخص، وتاريخي مهواي، وميعادي حريقي».

حاضرٌ تضيقُ اللغةُ أمامَه وما أمرّها إذ تضيق.. وبالرغم من هذه الصورة التي تتشكّل قاتمة سوداويّة بمفردات الدم/ الأفول/ مزق التاريخ/ أمارات الضحيّة/ أمرّ/ أضيق، نراها تُسبق بجملة افتتاحيّة تحمل إشارة إلى أمل قد يسير إلى القادم من الوقت ليصيرَ بغير أفول. لماذا يذكر اللغة هنا؟ ما علاقة اللغة بذات الشاعر هنا؟

«ما أمرّ اللغة الآن وما أضيق باب الأبجديّة» أتعجز اللغة أمام هذا الواقع؟، وإن كان أدونيس يرى العجز ليس اللغة نفسها، وإنّما هو «العجز عن التعبير، عن الإحاطة بالعالم وأسراره، والذي يُنسب عادة إلى اللغة لا يكمن في اللغة بحدّ ذاتها، وإنّما يكمن في غياب الإنسان الذي يعرف كيف يفرغ اللغة من ليلها العتيق ويردّها إلى براءتها الأولى، هنا يكمن سرّ الإبداع الشعريّ وفي هذا المستوى وحده يصحّ القول إنّ الشعر أوّلا لغة».[14]

12 يُنظر. ريتا عوض. أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربيّ الحديث. ص60-46.

13 موسيقيٌّ في الأساطير الإغريقيّة والرومانيّة، موسيقى صوته وقيثارته عذبة فكانت تتبعه الحيوانات والأشجار والأحجار، وتتوقّف الأنهار عن الجريان كي تستمع إليه.

14 أدونيس. زمن الشعر. ص245.

زي **المصري**...

اللي بشبه **اللبناني**...

صحن الحمص
السوري نفسه...

والخليجي
هو نفسه
بالزبط...

وصحن الحمص ببلادنا مع **حمص وكمون نخلة**

بِهالبَساطة؟!! بِهالزكاوِة.

هذا الحديث الذي يعني به أدونيس عجز اللغة عن التعبير يوحي إلى ضرورة إيجاد مكان فسيح للتحرّك بحرّيّة في الأفكار والكلام «فالكلام هو أن ننطق العالم، كلّ ما يرثه، وما يخبّئه وما يتقمّصه وما يوحي به، وأن ننطقه لحظة نشاء في أيّ شكل نشاء تلك هي الثورة الحقيقيّة.. منذ أبي العلاء المعرّي لم نتكلّم،ردّدنا، كرّرنا، حفظنا، لكنّنا لم نتكلّم».[15]

يستشرف الشاعر أفقه الجديد، الذي من خلاله يحاول أن يكشف عن ضيقه المستمرّ بالوقت والتاريخ وعن اللغة في عتمتها المستمرّة ليصنع عالما فسيحا عبر الرؤيا وفي مغامرة مع اللغة وباللغة وحول اللغة.[16]

فالعالم الذي يتّسم بالأفول هو عالم اللغة نفسها وكونها الفريد، وهو ما ينتمي إليه الشاعر باعتباره صوتا (حنجرتي) وضميرا للوجود الإنسانيّ (قل لنا ماذا سنقول؟). وكأنّ الشاعر يجرّد من نفسه نفسا يخاطبها وذلك ليسوق تداعياته الفكريّة وخواطره الشعريّة، نفسا يسائلها ويمنحها حيّزا للتفكير، فهو المخاطِب والمخاطَب، هو السائل والمجيب، (قل أنت، نقول نحن). يسائل من يستحقّ السؤال (أنا الحاضر)، من لديه القدرة على التفكير في هذا السؤال (رأسي برج نار)، وإذا أنعمنا النظر في المقطع الأوّل بهذه اللوحة لوجدنا صيغة اسم الفاعل تتكرّر ثلاث مرّات (حاضنا، الضارب، الحاضر)، استخدام يولي الفاعل الحاضر مسؤوليّة القادم.

من الضروريّ أن نشير أيضا إلى حضور الذات الواحدة (حاضنا/ حنجرتي/ وجهي) التي تتحدّ في السطر الثالث مع الذات الجمعيّة (قل لنا يا لهب الحاضر، ماذا سنقول؟).

اللوحة الثانية

(كلمات مفتاحيّة: هولاكو، مساءلة، شعر، الذات، بومة)

حاضنًا سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ:

.../أصديقٌ صار جلّادًا؟ أجارٌ

قال: ما أبطأ هولاكو؟ من الطارق؟ جابٍ؟

أعطه الجزية... أشكالُ نساءٍ

ورجالٍ... صورٌ تمشي/ أشرْنا

وتَسارَرْنا، _ خطانا

خيطُ قتلٍ /

أترى قتلُك من ربك آتٍ؟

أم ترى ربك من قتلِك آتٍ؟

ضيَّعته الأحجيةْ

15 أدونيس. زمن الشعر. ص49.

16 الأسطورة عند أدونيس. ص77.

فانحنى قوسًا من الرعبِ على أيامه المنحنية

حالة الحصار الراهن يفرضها الصديق والعدو (هولاكو) على حدّ سواء، فتؤدّي إلى قتل كثير يختلط الحابل فيه بالنابل، إذ لا يميّز المرء بين رأس طفل وقطعة فحم، ولا بين جسد وهيكل طين، كما يجد المرء نفسه في لجّة من الأحاجي والألغاز المحيّرة التي لا تستطيع أن تقدّم أيّ تفسير معقول لتوالي هذه المآسي الإنسانيّة المفجعة ولاستمرار حالة الضياع والتخبّط واختلاط الأمور بعضها ببعض. في مثل هذا الوضع، لا يبقى أمام المتكلّم في القصيدة إلّا أن يلوذ بعالم الشعر، عالم الإبداع والدهشة والانخطاف، وهو عالم يذكّرنا في بعض صوره بعالم المتصوّفة.

-لي أخٌ ضاع أبٌ جُنَّ، وأطفالي ماتوا

من أرجّي؟ هل أضمّ البابَ؟ هل أشكو إلى سجادةٍ؟

-داخَ، هاتِ الحُقَّ وامنحهُ الشفاءَ

من عطوس الفقهاء.

جُثَثٌ يقرؤُها القاتِلُ كالطُّرْفَةِ / أَهْراءُ عِظامٍ،

رأسُ طِفْلٍ هذه الكتلة، أم قطعةُ فَحْمٍ؟

جسَدٌ هذا الذي أشهدُ أم هيكلُ طينٍ؟

أَنحني، أرتُقُ عينين، وأَرفو خاصِرة

ربّما يُسعفُني الظنُّ ويَهديني ضياءُ الذّاكرة

غيرَ أنّي عبثًا أَسْتقرئُ الخيطَ النَّحيلْ

عبثًا أجمعُ رأسًا وذراعينِ وساقين، لكيْ

أكتشفَ الشّخصَ القتيلْ

-لمن النملة تعطي درسها؟

ولمَ الدهشةُ؟ شعرٌ

ينقاد المتكلّم نحو المساءلة، بحثا عن الذات عن ذاتنا، هو يقودنا لنتعرّف على انشقاقنا، ويصاحبنا لنيأس من يقيننا. تساؤلات كثيرة لا تملك إجابات لها، تأخذك إلى عالم من التأمّل ومعاودة السؤال، وحين يخلص في نهاية اللوحة إلى (شعر) فالشعر عنده ملاذ، هو الشعور بالحرّيّة وليس الحصار والقتل.

يُخاطِبُ ويُخاطَبُ، يسألُ ويجيبُ، ما كتبه من «درسٍ/ شعر» لمن؟ ولماذا جاء بهذا الشكل وبهذه اللغة؟ ما الغريب وما الجديد فيما أعطى؟ ويجيب سريعا بكلّ ثقة ودون تردّد (شعرٌ)، هو شعرٌ هذا الدرسُ المدهشُ. فالشعر بالنسبة لأدونيس ليس لغة تعبير إنّما هو التغيير من خلال لغة الخلق، فالشاعر يخلق عناصره بمنطلق جديد وطريقة جديدة. فالشاعر عليه أن «يرى ما لا يراه غيره أي يكتشف ويستبق».[17]

شعرٌ

17 أدونيس. زمن الشعر. ص19.

مزجٌ هذا الشرر الفاجع بالعين، انخطاف
أن ترى بيتك مرفوعا إلى الله شظايا،
صرختْ بومةُ عرّافٍ على مئذنة
نسجت من صوتها قوسَ قزح
وبكت مخنوقةً حتّى الفرح.

وهنا يأخذ أدونيس في مقاربة بين عالمين: عالم الحصار والتفجير والخراب في بيروت، وعالم الشعر والثورة الشعريّة التي يحلم بها. فالمهمّة الأولى الأساسيّة عند أدونيس في الثورة الشعريّة هي تفجير طاقة الخلق اللغويّ التي تتيح للشاعر أن يهدم ويخرّب باستمرار، ليبني ويبتكر باستمرار. فالشعر عند أدونيس تحريض وتخريب من أجل التجديد لا التشابه.

واستخدم الشاعر رمز (البوم) المثير للتشاؤم، ليصبغ من خلاله الواقع بصبغة الموت، فتراكم سلبيّات الواقع وتجاهل الإصلاح نتيجته الحتميّة الاندثار، لكنّه يحرّك هذا الرمز ليعارض أو يغاير (نسجت من صوتها قوس قزح/ بكت حتّى الفرح)، ممّا يوحي باحتدام الصراع بين الماضي والحاضر والمستقبل، والواقع والحلم. إذ يحسم أدونيس هذا الصراع لصالح الحلم، القادم والمستقبل، ويتوجّه بكلّ ما أوتي من قوّة خصبة وفكر متوقّد إلى تحقيق حلمه «حاضنا سنبلة الوقت ورأسي برج نار».

ويلقي الشاعر بالأقنعة التاريخيّة كدلالات للطغيان ولمرارة هذا الواقع فـ (هولاكو) رمز الشخصيّة المدمّرة للبشريّة وللحضارة، «فالشعراء المعاصرون استمدّوا من هذه النماذج البشريّة وسيلة التحدّث عن الحياة وفلسفة الكون والوجود».[18] إذ نراه يعتمد من أجل توفير المعادل الموضوعيّ لتجربته على توظيف شخصيّة تراثيّة؛ هي هولاكو الذي كان رمزا للسلطة المدمّرة، الذي تبنّى أدونيس صوته ليعبّر من خلاله عن مرحلة من مراحل تطوّر تجربته الشعريّة، وهي مرحلة رفضه للواقع الحضاريّ العربيّ، وتبنّيه للأصوات التي رفضت هذا الواقع -من خلال التاريخ- وعملت على تجاوزه.

إنّ شخصيّات التراث هي هذه الأصوات التي استطاع الشاعر العربيّ المعاصر أن يعبّر عن كلّ أتراحه وأفراحه؛ أن يبكي هزيمته أحرّ البكاء وأصدقه وأفجعه، وأن يتجاوزها في الوقت نفسه، بينما كان كلّ كيان الأمّة يئنّ منسحقا تحت وطأتها الثقيلة، وأن يستشرف النصر ويرهص به في الأفق ولم تكن تلوح فيه بارقة النصر، وأن يتغنّى للحرّيّة أعذب الغناء وأنبله، ومن ثمّ فقد عقد الشعراء العرب أواصر صلة بالغة بالعمق والثراء بشخصيّات هذا التراث الدينيّ، وأصبحت هذه الشخصيّات تطالعنا بوجوهها المنتصرة والمهزومة.[19]

أترى قتلُك من ربك آتٍ؟
أم ترى ربك من قتلِك آتٍ؟

إنّ طرح الأسئلة المتعاقبة التي تبحث عن أجوبة لا يقدّمها الشاعر، تبدو دعوة يوجّهها المتكلّم/الشاعر للقارئ كي يشاركه مسؤوليّة البحث والإجابة من خلال تاريخه وحاضره، وقد تشير هذه الدعوة

18 أحمد زكي كمال. دراسات في النقد الأدبيّ. ص190.

19 علي عشري زايد. استدعاء الشخصيّات التراثيّة في الشعر العربيّ المعاصر. ص8-7.

والأسئلة إلى عجز الشاعر عن إجابتها ومدى إحساسه بفداحة الأحداث وثقلها أيضا.

تتشكّل الأسئلة كأحجية أمام القارئ وأمام الشاعر، أحجية وليدة الرفض لما يحصل في هذا الحاضر وما حصل عبر التاريخ. ففي حيّز القلق والأفول الذي أحدثه الواقع الراهن وإحساس بعبثيّة الحياة، يحضر سؤال الشاعر ويتكرّر ليصير عنصرا بنائيّا في القصيدة.

اللوحة الثالثة

(كلمات مفتاحيّة: البهلول، الموت، الزمن، الطوفان)

حاضِنًا سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ:

.../كَشَفَ البهلولُ عن أسرارِهِ

أَنّ هذا الزّمَنَ الثّائرَ دُكّانُ حِلّي،

أنّه مُسْتَنْقَعٌ من أنبياءْ.

كشفَ البهلولُ عن أَسْرارِهِ

سيكونُ الصِّدقُ موتًا

ويكون الموتُ خُبْزَ الشّعراءْ

والذي سُمّي أو صارَ الوطَنْ

ليس إلاّ زمنًا يطفو على وجهِ الزَّمَنْ.

إنّ توالي المآسي واستمرار حالة الضياع كما صوّرتها اللوحة السابقة مرتبطان بالحاضر الذي انعدمت فيه القيم والمبادئ وانقلبت فيه الموازين رأسا على عقب. وتساعدنا شخصيّة البهلول، في هذه اللوحة، في التعرّف إلى بعض ملامح هذا الحاضر وإلى بعض أبعاده الخلقيّة والسياسيّة والاجتماعيّة المزيّفة.

ولكن من هو هذا البهلول الذي يتقنّع به أدونيس؟ يستحضر أدونيس شخصيّة تاريخيّة أدبيّة كانت من أعقل المجانين، وقد يريد أدونيس من خلال اختياره شخصيّة البهلول أن يخلع عليها ما يحمل من جنون وحكمة وذكاء، وقراءة واعية للواقع ورؤية ثاقبة للمستقبل. البهلول هو أبو وهب بهلول بن عمر الصيرفيّ الكوفيّ[20]، وهو من كبار علماء وفضلاء عصره، عُرف بالمجنون خلافا للواقع والحقيقة لأنّه كان من سادة العقلاء وكبار الدعاة. وقيل إثر حادثة بينه وبين هارون الرشيد، ظهر البهلول فيها حكيما جدّا وجرى القول المأثور (خذوا الحكمة من أفواه المجانين).

وقد تكرّرت شخصيّة البهلول في نتاجات أدونيس وظهرت كشخصيّة مكافئة له كان قد ابتكرها وصقلها وطوّرها على مراحل عدّة في كتابه (مفرد بصيغة الجمع)، بدءا من رفض المسلّمات التراثيّة، مرورا بطرح السؤال على التراث والعصر، وانطلاقا من إعادة التكوين والتوازي مع العصر، وصولا إلى إدراك سرّ الوقت واستدارة الزمن، وتبنّي رسالة الإنسان.[21]

---

20 وُلد بالكوفة ونشأ بها، وعاصر ملوك العبّاسيّين. وهو من سيّد عقلاء المجانين في زمانه وأحد رموز التصوّف والعرفان. ولأجل التخلّص من طغيان أولئك الملوك المتجبّرين كان يتصرّف تصرّف المجانين.

21 يُنظر: أدونيس. مفرد بصيغة الجمع. ص93-11.

وفي استحضار شخصيّة البهلول في المأثور الشعبيّ في صورة الأحمق المجنون، نلمس أنّ أدونيس لجأ إلى هذه الشخصيّة لأنّه الوحيد القادر على قول الحقيقة دون خوف، ولعلّه كان يُرمى بالجنون لهذا السبب دون غيره. فالبهلول/ الحكيم لديه أسرار اكتسبها من حكمته وخبرته مع الوقت، ولذلك فهو يكتشف ويكشف المضمر.

كشف البهلول عن أسراره

أين مفتاحك يا أُبّهَة الطوفان؟ لطفًا أغرقيني

وخذي آخِر شطآني خذيني

سحرتني لجةٌ لاهبةٌ

سحرتني قشةٌ تحترق

سحرتني طرقٌ تجفلُ منها الطرق

ومثلما يساعدنا البهلول في التعرّف إلى بعض ملامح الحاضر وأسراره، فإنّه يوحي إلينا بأنّ الخلاص لا يكمن إلّا في الغرق والطوفان الشامل الذي سيفضي إلى الاغتسال من أدران الحاضر. ويستحضر الشاعر هنا قصّة الطوفان بنمطها الأسطوريّ والتي تؤكّد أنّ الفساد عمّ الأرض ووصل إلى درجة لا تطاق، لذلك كانت الحاجة إلى طوفان المياه من أجل تطهير هذه الأرض، وتجديد الحياة، وهذا التجديد لا يكون بغير المياه -الخصب- (أغرقيني). إنّ الانغمار في لجّة لاهبة في خضم البحر والمغامرة في تتبّع طرق خطرة غير مألوفة، طرق لا تنتمي إلى الحاضر المزيّف، لا بدّ أن يفضيا إلى حالة من الخلاص والتطهير.

سيكونُ الصِّدقُ موتًا

ويكون الموتُ خُبْزَ الشّعراءْ

أمّا الموت، فكان الإنسان وما يزال يعدّ مجابهة الموت قضيّته المصيريّة الأولى. وهي قضيّة صراع مرير وطويل اتّخذ أشكالا متعدّدة مختلفة على مرّ الأجيال في تاريخ الحضارة الإنسانيّة. ولعلّ أوّل صورة لهذا الصراع هي أسطورة جلجامش السومريّة، التي دوّنت ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتروي قصّة الملك جلجامش الذي سعى بكلّ ما يلتهب في داخله من رغبة في الخلود إلى تحقيق حياة أبديّة. فعاد من رحلاته إلى المجهول وقد خابت آماله، وأشرقت الحقيقة التي لم يستطع نقضها؛ وهي أنّ الإنسان وُلد ليموت.

في هذه اللوحة، تبدأ القصيدة في التحوّل إلى نقطة جديدة، فيخطو إلى مرحلة أولى في الكشف، محاولا الخروج من وطأة الحدث، مستشرفا المستقبل.

اللوحة الرابعة

(كلمات مفتاحيّة: الغول)

حاضِنًا سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نارٍ:

نسيتْ نفسيَ أشياء هواها

نسيتْ ميراثها المكنون في بيت الصور

لم تعد تذكر ما تلفظه الأمطار، ما يكتبه حبر

الشجر،

لم تعد ترسم إلّا

نورسًا يقذفه الموج إلى حبل سفينة

لم تعد تسمع إلّا

معدنا يصرخ: ها صدر المدينة

قمرٌ ينشق مربوطا إلى سرّة

غولٍ من شرر

لم تعد تعرف أنّ الله والشاعر طفلان ينامان على خدّ

الحجر.

تحت وطأة الحاضر القاسي، نسيت النفس أشياءها الجميلة، ونسيت ميراثها المكنون في بيت الصور، ولم تعد تذكر ما يوحي به المطر أو الشجر من أسباب الخصب والحياة. بالرغم من هذا التوصيف القاتم نجد إشارة توشي بالتمسّك بأهداب الحياة وأسباب النجاة فالنفس «لم تعد ترسم إلّا نورسا يقذفه الموج إلى حبل سفينة»، وهي صورة تؤكّد الامل بالخلاص والعيش في هدوء وسلام. هناك تطلّع أكيد نحو الغد وتشبّث قويّ بالحلم وإن كان عصيّا، وبالشعر «الذي يرسب في الذاكرة».

يستحضر الشاعر أسطورة «الغول»، وما يدور حولها من هالات الرعب والخوف، فهنا الشاعر يخرج مكنونات الخوف التي تكمن في نفسه وفي النفس البشريّة من واقع مشوّه ومستقبل مجهول.

نسيتْ نفسي أشياء هواها

ولذا يرعبني الظل، الغد المرتسم،

ولذا يملؤني الريبُ ويستعصي عليَّ الحلم

موثَقا أركض من نار لنار

غصت تحت العرق الدافق من جسمي، وقاسمت

الجدار

أرقَ الليل / (خطى الليل وحوش)

ومرارا قلتُ للشعر الذي يرسب في ذاكرتي:

أيُّ منشار على عنقيَ، يملي

آية الصمت؟ لمن أروي رمادي؟

وأنا أجهل أن أنتزعَ النبضَ وأرميه على طاولةٍ

وأنا أرفض أن أجعل من حزنيَ طبلا للسماء،

فلأقل: كانت

حياتي بيت أشباحٍ وطاحون هوى

إنّ الشاعر يلوذ بمثل هذه الأمور جميعا للانفكاك من إسار الحاضر الراهن الذي يشبه أن يكون «بيت أشباح وطاحون هواء».

اللوحة الخامسة

(كلمات مفتاحيّة: بيروت، الموت، التيه)

حاضنًا سنبلة الوقت ورأسي برجُ نارٍ:

شَجرُ الحبّ بقصّابينَ آخى

شَجَرَ الموتِ ببيروتٍ، وهذي

غابَةُ الآسِ تُؤَاسي

غابةَ النَّفْيِ، كما تدخلُ قَصّابينُ في خارطةِ

العشْبِ، وتَسْتَقْطِرُ أحشاءَ السّهولْ

دخلَتْ بيروتُ في خارطةِ الموتِ / قبورٌ

كالبساتينِ وأشلاءٌ حقولْ

ما الذي يسكبُ قصّابينَ في صيدا، وفي صورٍ،

وبيروتُ التي تَنسكبُ؟

«قصّابين» مسقط رأس الشاعر، ترمز إلى الميلاد/ الحبّ/ الحياة، مقابل «بيروت» التي أمست ترمز إلى النفي/ القبور/ الموت. فبيروت هنا أصبحت توازي الحاضر الراهن الذي أمسى زمن الموت، زمن التيه والضياع، الزمن الذي أصبح للقاتل فيه «كلّ الوجوه». إنّ الحديث هنا عن بيروت/ المكان لا يقصد به إلى الوقوف عند سطح الأحداث، بل يصل من خلاله إلى التغلغل في أعماق الذات.

يجعل الشاعر من بيروت مدينة للسؤال حول كلّ شيء، هي مدينة تدشّن زمنا عربيّا جديدا كلّ مرّة، فبين قصّابين وبيروت بون شاسع (شجر الحبّ بقصّابين، شجر الموت ببيروت). «كانت بيروت، منظورا إليها من داخل، عالما يفرغ من «التاريخ» الذي نشأت فيه أو أنشأها، وتتحفّر في اتّجاه تاريخ آخر لا تكون مكتوبة به، بل تكتبه هي نفسها».[22]

وكأنّ الشاعر ينقلنا إلى واقع المعاناة الإنسانيّة في مدن بين الواقع والمأمول، بيروت وقصّابين وصيدا، مدن شهدت دمارا بعد عمار، هذه المدن في رؤيا الشاعر تحمل ثنائيّة ضدّية بين واقع وحلم: فهي شجرة الموت، وغابة النفيّ، وخارطة الدماء، والأشلاء، في مقابل حلم شجرة الحبّ، وغابة الآس، والعشب والبساتين.

22 أدونيس. ها أنت أيّها الوقت. ص33.

ولكنّ بيروت في صراعها مع الموت تأبى أن تستسلم للهزيمة، الأمر الذي دفع بالقصيدة إلى إبداع عالم أسطوريّ يتغلّب فيه الانبعاث على الموت.

ما الذي، في بُعدِه، يقتربُ؟

ما الذي يمزجُ في خارطتي هذي الدِّماءْ،

...يبسَ الصّيفُ ولم يأتِ الخريفْ

والرّبيعُ اسْوَدَّ في ذاكرةِ الأرضِ / الشّتاءْ

مثلما يرسمُه الموتُ: احتضارٌ أو نزيفْ

زمنٌ يخرجُ من قارورةِ الجَبْرِ ومِن كفِّ القضاءْ

زمنُ التّيه الذي يَرْتَجِلُ الوقتَ ويجترّ الهواءْ،

كيفَ، من أينَ لكم أن تعرفوهْ؟

قاتِلٌ ليس له وجْهٌ / له كلُّ الوجوهْ...

هذه المغامرة الشعريّة مع اللغة لا يعتبرها أدونيس وسيلة إبلاغ وإنّما هي «درب من دروب التيه والتشرّد وبحثا مهووسا عن عري الوجود، إنّ أدونيس فيما هو يتأمّل كونه الشعريّ، فإنّه ينفتح على تأويل الكينونة ويؤسّس لشعريّة التأويل».23

فالتيه هو سَفر نحو المصادفة والمجهول، وامتطاء دروب المغامرة، وبهذا التحديد يضحي التيه فاصلا يعوّق حصول المعرفة اليقينيّة، وبحثا دؤوبا عن رؤيا استبطانيّة تستهدف إبداع الظنّ.

وزمن التيه هذا لا بدّ من تحوّله، لا بدّ من خروجه من قارورة الجبر ومن كفّ القضاء، ويشير إلى هذا التحوّل: «والربيع اسودّ في ذاكرة الأرض»، فإيمانه القاطع بالانبعاث يظهر في ملمح الربيع هنا وإن اسودّ في أحشاء الأرض. وكأنّ الشاعر يعادل بين الأمّ والأرض: فأحشاء الأرض كأحشاء الأمّ، تعطي الحياة. في استخدامه لكلمة «ذاكرة الأرض» يظهر تعلّقه بالأرض شوقا لتحقيق الانبعاث بالعودة إلى رحم الأمّ وانتظار حياة جديدة.

لقد استطاع الشاعر أن يستخدم أسطورة تمّوز كرمز أسطوريّ في جوّ من الثورة والتحوّل، ثورة ضدّ العالم بالتجدّد والتحوّل هو بؤرة الشعر المعاصر إذ مثّلت تجربة التحوّل «فعل ولوج الذات التجربة، أو حالة انفصام الذات عن الواقع كخطوة أولى تمهّد إلى ذات أخرى هي حالة الاندماج في العالم».

اللوحة السادسة

(كلمات مفتاحيّة: اكتشاف الذات، البحث، أسئلة)

حاضِنًا سنبلةَ الوقْتِ، ورأسي برجُ نارٍ:

مُنْهَكٌ أَلْتفِتُ الآنَ وأَسْتشرفُ – ما تِلك الخِرَقْ؟

أتواريخٌ؟ أبلدانٌ؟ أراياتٌ على جُرْفِ الغسَقْ؟

23 عبد العزيز بومسهولي. الشعر والتأويل. ص65-64.

هُوذا أَقْرأُ في اللّحظةِ أجيالًا وفي الجُثّةِ آلاف الجُثَثْ

هوذا يغمرُني لُجُّ العَبَثْ؟

تتأمّل الذات أعماقها، ماضيها وحاضرها، وتستشرف أبعاد المستقبل وأسباب النجاة.

هناك حالة شاملة من العبث والدمار والموت تعاني منها أجيال كثيرة متعاقبة، حالة تؤدّي إلى انفصال الذات عن الذات، فالشخص أكثر من شخص، والطريق لم تعد طريقا، والتاريخ يقود إلى الهاوية. لذلك يحاول الشاعر إن ينفذ إلى أعماق المعاناة الإنسانيّة من خلال فلسفة الوجود إذ أسقط معاناة العالم على نفسه، فالإنسانيّة منهكة تغرق في بحر من الألم والدموع والحرائق والإبادة.

يبدو أنّه يحاول اختراق التجربة الانسانيّة من خلال الامتداد الزمانيّ (أتواريخٌ؟)، والمكانيّ (أبلدانٌ؟)، والإنسان الشخص (أرايات؟)، فهو يسبر غور التاريخ مرتديا أقنعة شخوصه مطلّا عليهم من مفترق الماضي/ الواقع.

جسدي يُفْلِتُ من سَيْطرتي

لم يعدْ وجهيَ في مِرْآتِهِ

ودمي يَنْفُرُ من شَرْيانِهِ..

أَلأنّي لا أرى الضّوءَ الذي يَنقلُ أحلامي إليهْ؟

أَلأنّي طَرَفٌ أقْصى من الكونِ الذي بارَكَهُ غيري وجَدّفْتُ

عليهْ؟

ما الذي يَجْتَثُّ أعماقي ويمضي

بين أدغالٍ من الرّغبة؟ بلدانٍ محيطاتِ دموعٍ

وسلالاتِ رموزٍ؟

بين أَعْراقٍ وأجناسِ عصورٍ وشعوبٍ؟

في مثل هذه الحالة من التمزّق والانفصام، في مثل هذه الظلمة الحالكة، لم تعد أمام الذات إلّا أن تستهدي بالجنون الذي قد يؤدّي إلى الائتلاف مع الذات من جديد.

فالواقع الشعريّ من خلال الحلم أو الاصطدام بالأسئلة المتكرّرة في ذهن الشاعر تجعله ينفذ إلى واقع التأمّل، فترى لغته تتخفّى بين رموز أسطوريّة أو حتّى رموز صوفيّة، لن تكون لغته مبهمة أبدا «فكما أنّ اللغة أساس في التعبير الكيميائيّ أو الرياضيّ أو الفيزيائيّ فإنّها أيضا أساس في التعبير عن الحلم، فكلّ شيء لغة ومن دون لغة لا يوجد علم، سواء كان علم المادّيّات أو علم الروحانيّات»24، وباعتبار أنّ الحلم هو الحقيقة بالنسبة للشاعر المعاصر «هو اللغة المعتمدة وليس الواقع»25، وهو أيضا خلق أسئلة جديدة لا إجابة عن أسئلة جاهزة.

---

24 حنّا عبّود. النظريّة الأدبيّة الحديثة والنقد الأسطوريّ. ص37.

25 المرجع نفسه. ص37.

ما الذي يفصلُ عن نفسيَ نَفْسي؟

مَا الذي يَنقضُني؟

أَأَنا مُفْتَرقٌ

وطريقي لم تعدْ، في لحظةِ الكشفِ، طريقي؟

أَأَنا أكثرُ من شخصٍ، وتاريخيَ مَهْوايَ، وميعادي

حريقي؟

ما الذي يصعدُ في قَهْقَهَةٍ تصعدُ من أعضائيَ المختنقة؟

أَأَنا أكثرُ من شَخْصٍ وكلٌّ

يسألُ الآخرَ: مَن أنتَ؟ ومِن أينَ؟

أأعضائيَ غاباتُ قتالٍ

...في دمٍ ريحٍ وجسمٍ وَرقَهْ؟

أجُنونٌ؟ مَنْ أنا في هذه الظُّلمة؟ علِّمْني وأَرْشِدْنيَ

يا هذا الجنونْ

مَنْ أنا يا أصدقائي؟ أيّها الرّاؤون والمُسْتَضْعَفونْ

ليتَني أقدِرُ أن أخرُجَ من جلديَ لا أعرفُ مَنْ كنتُ،

ولا مَن سأكونْ،

ولا تنفكّ هذه الذات تبحث بحثا دؤوبا عن اسم وهويّة. لأنّ الذات تنفصل عن ذاتها، تحاول إعادة اكتشاف للذات من خلال العودة إلى الماضي.

إنّني أبحثُ عن اسم وعن شيءٍ أسمّيهِ

ولا شيءَ يُسمّى

زمنٌ أعمى وتاريخٌ مُعَمَّى

زَمَنٌ طَمْيٌ وتاريخٌ حُطامْ

والذي يملكُ مملوكٌ، فسبحانَكَ يا هذا الظّلامْ.

فالتاريخ هو سبب السقوط والتمزّق والهاوية، وهو سبب حالة الانفصام التي آل إليها المتكلّم الرئيس في القصيدة. وأمّا ميعاده مع المستقبل، فإنّه لن يتحقّق إلّا عبر الحريق الذي سوف يفضي إلى التطهّر والتخلّص من عبء ذلك التاريخ، كما سوف يفضي إلى ولادة جديدة.

اللوحة السابعة

(كلمات مفتاحيّة: الجدّ، الطلل)

حاضنًا سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نار:

جدّي الساميّ مأخوذٌ بما ينسله الدهر العماء

ببّغاءٌ؟ أم نبيٌّ مُفرغٌ في مومياء؟

أيّها الجدّ الذي اعتزل الآن طريقَه

حسنا، أنت الذي يسكن في جرثومة الماء وأطباق السماء

ومن الحكمة أن تمشي، كما تمشي، شموخا للوراء

ولأنتَ السرُّ والملكةُ المكتنزة

بالنبوّات- أنا العاجز عن فهمك، والسادرُ في

الغيّ، وأنتَ المعجزة.

أيّها الجدّ الذي أرفضه الآن وأحببت الخليقة

باسمه الخالق، لن تعرفني بعدُ، ولن ينسبني شيء إليك

غيرُ ذاك الطللِ الراسبِ في نفسيَ- يبكيني، ويبكيني

عليك.

الجدّ الساميّ/ الماضي/ التاريخ ربّما يكون مسؤولا عمّا آل إليه الحاضر من ضياع وحطام. ولذا فإنّ الحفيد يرفض ذلك الجدّ ويعتزل طريقه وحكمته، بل إنّه لا ينتسب إليه إلّا من «ذاك الطلل الراسب» في نفسه، ذلك الطلل الذي يبعث في نفس الحفيد ذكريات متّشحة بالأسى مثلما يبعث فيها الشفقة على ذلك الجدّ.

ولكن انتساب الحفيد إلى جدّه من خلال «الطلل الراسب» في أعماقه قد يشير، من جهة أخرى، إلى الآثار الحيّة الباقية من الماضي/ التاريخ في الحاضر/ المستقبل، إذ لا بدّ أن تستمرّ مثل هذه الآثار حيّة فاعلة وتؤدّي إلى البعث والتجدّد والدائمين. ولعلّ مثل هذه الإيحاءات «الضدّيّة» التي تثيرها صورة الطلل في القصيدة تتأكّد بشكل أكبر في اللوحة الآتية حين يشير الشاعر إلى علاقته بالتاريخ.

وحين يستحضر الشاعر «المومياء» يعود لاستحضار الموت، لأنّها رمز الموت ورمز الهدم وفي المقابل حين يرفضها يشير إلى الحياة المتجدّدة وإلى الولادة فهذا الرفض رمز للحياة والرجاء.

اللوحة الثامنة

(كلمات مفتاحيّة: الحلم، الخلود، الخروج، إله، حكمة، ثورة)

حاضِنًا سنبلةَ الوقتِ ورأسي بُرْجُ نارٍ:

آخِرُ العَهْدِ الذي أمطَرَ سِجّيلا يُلاقي

أوّلَ العهدِ الذي يُمطِرُ نفْطًا

وإلهُ النَّخْل26، يجثو

26 إله النخل: تمّوز. رُمز إلى تمّوز بالنخلة وفي قمّتها نجمة ثمانيّة.

لإلهٍ من حديدٍ،
وأنا بين الإلهينِ الدّمُ المسفوحُ والقافلةُ المنكفِئَة
أَتَقَرّى ناريَ المنطفئة
وأرَى كيف أُداري
موتيَ الجامحَ في صحرائِه،
وأقولُ الكونُ ما ينسجُهُ حُلْميَ.. / تَنْحلُّ الخيوطْ

آخر الماضي/ التاريخ يلتقي أوّل الحاضر الذي «يمطر نفطا» في عهد التكنولوجيا الحديثة، فيأتي بالحريق والموت. والنتيجة الطبيعيّة حالة من العبث الدائم، و«الموت الجامح»، والليل الهابط، والكابوس المرعب، والصحراء المجدبة، والحاضر الذي يتأكّد فيه انقلاب القيم والموازين، فلا يعرف فيه القاتل من المقتول، ولا الذابح من المذبوح. وهذا كلّه يؤكّد للذات مرّة أخرى أنّه ليس أمامها سبيل للنجاة غير الجنون. وهكذا تنتبذ هذه الذات «الآكل والأكل» وترتاح «إلى كلّ متاه»، وعزاؤها أن تتوغّل في الحلم، وأن تغنّي «شهوة الرفض»، وأن تستنفر «أفعال الخروج»، أفعال التمرّد والثورة على كلّ الأوجه السلبيّة التي أفرزها الوقت الحاضر. وهكذا تصبح اللغة/ الشعر هي المحور الأساسيّ الذي تسقط الذات عليه همومها وتعبّر من خلاله عن علاقتها بالكون. إنّ شهوة الرفض والتغيير والتحوّل هي الحكمة التي تستهدي بها الذات في محنتها الراهنة في محاولة جادّة للخلاص من حالة الأفول/ الموت بصورتها المجّانيّة الراهنة التي لم تؤدّ إلّا إلى مزيد من التيه والضياع والعبث. إنّ هذه الذات المتمرّدة ترحّب بالأنقاض/ الأفول/ الموت الذي سوف يخرجها من ضوء إلى ضوء»، ومن صيرورة إلى أخرى، ومن عالم قديم إلى عالم جديد. إنّه سعي دؤوب من أجل بداية غضّة جديدة تحتضن جسد الأرض و«أسرار هواها»، تحتضن المستقبل، «العصر الذي يأتي»، حيث تحيا الذات في وطن حرّ كريم بلا قيود ولا حدود ولا خوف، وطن يشبه أن يكون عالما مثاليّا أو مدينة فاضلة تتجلّى فيها صور مشرقة من وحدة الوجود.

تظهر (النار) تباعا في لوحات القصيدة كرمز أساس ودلالات كثيرة، يبدو أنّ الشاعر أراد من توظيفها أن يستحضر أسطورة الفينيق كرمز شامل للنار والرمادّ (النار المنطفئة) إلى عنصر الحياة رمزا لبعث جديد بعد موت. فالموت ليس عنصر نهاية عند أدونيس، إنّما هو عنصر تحوّل وبداية من أجل بعث حياة جديدة تتجلّى في السفر إلى الغد والمستقبل.

هكذا يظهر الشاعر يتحصّن بالنار وإن كانت منطفئة «أتقرّى ناري المنطفئة، وأداري موتي، الكون ما ينسجه حلمي» هذه هي شخصيّة أدونيس، إله الخصب والنماء، وهو المقابل الفينيقيّ لتمّوز في أساطير ما بين النهرين، والذي صرعه خنزير بريّ، وهو ينبعث كلّ عام برفقة حبيبته عشتار عقب كلّ شتاء، وتعود بعودتهما إلى الأرض الأزهار والسنابل والثمار، هذا الإله الخيّر المعطاء- والذي يعادل في القصيدة ما كان المتكلّم يرجوه من خير ونماء للبلاد.

وأرى نفسيَ في مَهْوى وأَسْترسل في ليلِ الهبوطْ
وأرى الأشياء دولاب دخانٍ

وأرى العالم صيدا

مُدّت المائدةُ، – الأجسادُ بَقْلٌ

والمواعين رؤوس.

يجلس الله إلى مائدة الصيد، غزالٌ

كان خبّازا، وضبٌّ

كان جنديّا/ إلهٌ

يأكلُ الصيدَ، أم الصيد الإله؟

طُرقٌ تكذِبُ، شُطآنٌ تَخونُ

كيف لا يصعقُكَ الآنَ الجنونُ؟

هكذا أَنْتَبِذُ الآكِلَ والأَكْلَ وأرتاحُ إلى كلِّ مَتَاهْ

وعَزائي أنّني أُوغِلُ في حلميَ، أَشْتَطُّ، أموجْ

وأغنّي شهوةَ الرّفضِ، وأهْذي

فَلَكُ الزُّهرةِ خلخالٌ لِأيامي، والجَدْيُ سِوارٌ

وأقولُ الزَّهرُ في تيجانِهِ

شُرُفاتٌ...

وعَزائي أنّني أخرجُ أَسْتَنْفِرُ أفْعال الخُروجْ.

تتكرّر كلمة (حلم) في هذه اللوحة ويمكننا أن نميّز من خلالها بين الواضح وغير الواضح، فكلّ وضوح محدّد الصورة له بداية ونهاية، أمّا غير الواضح يأتي غير محدّد الصورة أو غير مكتمل الملامح، لا تظهر لنا عناصره جليّة منذ أوّل وهلة، وتبقى طبقاته مخفيّة عنّا مثل الحلم الذي يكون مرتبك الصورة بحيث لا يمكننا فهمه أحيانا ويحتاج دوما إلى تفسير وتأويل لنفهم إلام كان يشير، وإن صحّ التعبير الحدث في الحلم الذي جاء مخلخلا لا يلتزم ببداية أو نهاية.

هذه الخلخلة والامنتهي التي تؤسّس للحلم، إنّها أساس الفعل الشعريّ وجوهر العمليّة الإبداعيّة في الشعر المعاصر. يقول أدونيس: «كن حلما إذا أردت أن تكون الأبد: فالحلم هو وحده الأبديّ أمّا المنطق فعدم وخلاء، الحلم هو ذلك الزمن الآخر الذي يختلف عن الزمن الذي يجري ويمضي وينتهي، يختلف عن المدّ الزمنيّ».[27]

(يتبع)

27 أدونيس. زمن الشعر. ص303.

AMG | PLASTECH SOLUTIONS

A.M.G

صناعة وتسويق جميع أنواع العلب البلاستيكية

بإدارة: صالح رمّال (أبو سلمان)

يتقدمون بأحر التهاني والأمنيات القلبية

لجميع المحتلفين بمناسبة حلول

عيد الأضحى المبارك

أعاده الله على الجميع بالخير واليمن والبركات

كل عام وأنتم بألف خير

يركا- المنطقة الصناعية هاتف: 04-9967386 فاكس: 04-9564386

الموقع على الإنترنت www.amgplastics.com

نحو جيل يربو على

الانتماء والاعتزاز بالهوية

شيرين تناصرة برغوث

(نصّ الكلمة في مؤتمر «اللّغة والهُويّة» الذي نظّمته لجنة متابعة قضايا التّعليم العربيّ، والإعلان عن إصدار الحقائب التّعليميّة البديلة)

أَيُّها الحضورُ الكريم،

مساؤكم طَيّبٌ يُشِعُّ حُضورُكم فيهِ نورَ الانتماءِ للُغتِنا العَربيَّةِ ويؤكِّدُ الِاعتزازَ بالهُويَّة.

لا تلمْني في هَواها،

أنا لا أهوى سِواها

لستُ وحدي أَفتديها

كلُّنا اليومَ فِداها

هي لُغتُنا العربيّة بحرٌ مكنونُ الخبايا، منّا منْ سبرَ غورَه ومنّا ما يزال يطفو على الشَّاطئِ يحاولُ العثورَ على سُبلِ الغوصِ فيها. لأنَّها كذلك قرَّرتُ الغوصَ، للبحثِ عن لآلِئَ وكنوزٍ أَرتقي بها، فأَجعلُ من معرفِتها تأكيدًا على وجودي واعتزازًا بهُوّيتي وانتمائي.

من هذا المنطلق وعلى هذا الأَساسِ شاركْتُ بالمشروعِ الّذي بادَرتْ إليهِ لجنةُ متابعَةِ قضايا التعليمِ العَربيِّ بتمويلٍ من جمعيَّةِ التعاون الفلسطينيَّةِ، الّذي أُطلِقَ ردًّا على قانون القوميَّةِ الجائر بحقِّ لُغتِنا. كانت مساهَمتي في المشروع عبرَ إعدادي لحقيبةٍ تعليميَّةٍ للصُّفوفِ الابتدائيَّة والإعداديَّة. حاوَلْتُ عبرَ هذا العملِ أَنْ أُعطيَ كلَّ ما لديَّ من معرفةٍ، فجُدْتُ بِما تخزَّنَ عندي من طُرقٍ ووسائلَ لإيصال طلّابِنا إلى مرحلةِ الاستمتاعِ مع الإفادة مِمّا يُقرأ. ليسَتْ هذه الحَقيبةُ سوى لفائدةٍ مُضافَةٍ يحصُلُ عبرها الطالبُ على المُتعةِ في التعلُّمِ.

لام لُغتي لُغةُ العربِ مَجدي سَندي شِعري أَدبي

بهذا النَّظمِ من قصيدةٍ للشّاعر فاضلِ علي، اخترْنا أَنْ نَبدأَ البابَ الأَوَّلَ من الحقيبةِ المخصَّصِ للصفوفِ الأُولى حتّى الثالثة. هي المرحلةُ العمريَّةُ الّتي يبدأ فيها الطالبُ بكتابةِ الحروفِ، تكوينِ الكلماتِ ومن ثمَّ

القراءةِ، في هذه المرحلةِ التي نتعلَّمُ فيها أَنْ نَقرأَ. لا بدَّ أَنْ نكشِفَ الصّغارَ على حروفِنا الّتي تمتازُ عن حروفِ اللُّغاتِ الأُخرى بضادِها. وهنا، ولإبراز خصوصيّة عربيَّتنا وحروفها أودُّ أَنْ أَستعينَ بما نظَّره أحدُ الباحثينَ في هذا الصَّدد. وهي نظريَّةٌ مفادُها أنَّ متعلِّمَ العَربيَّةِ يحتاجُ لوقتٍ مُضاعَفٍ عن متعلِّمِ أَيِّ لُغةٍ أُخرى، فانظروا إلى حروفها التي تتَّخذُ شكلًا مُختلِفًا في كلِّ مكانٍ من الكلمةِ الواحدةِ في الوقتِ الذي يكون فيه دارس أيِّ لغةٍ أخرى قد وصل لكتابة كلمةٍ كاملة. لذلكَ لا بدَّ أَنْ نأخذَ بأيدي هؤلاء المتعلِّمينَ الصغار ليفهموا عمقَ ما يتعلَّمون فَيشمخوا عاليًا بلُغتِهم؛ لغةِ الأَمجادِ. في هذا البابِ أَيضًا، أفسحنا المجالَ لنصوصٍ أخرى تسلِّطُ الضوءَ على الديانات السماويّة الثلاثة؛ أُعيادها وصلواتِها فجاءتَ في قصيدةٍ شيِّقةِ المعاني للشاعر العروضيّ محمود مرعي لترفعَ من قيمِ احترامَ الآخر والتعرُّفِ عليهِ عن كثَبٍ، فنحنُ إذ ما زرعْنا الاحترامَ المتبادَلَ، حصدْنا توافقًا وانسجامًا من شأنِهِ أَنْ يَجعلَ الطالبَ في سلامٍ مع الآخرِ المُختلفِ عنهُ فيتعلَّمُ منه ويستفيدُ وإيّاه. كما أَنَّنا لم ننسَ أن نُطلِع طلّابَنا الصغارَ على كلماتٍ قصيدةٍ موطني للشّاعر إبراهيم طوقان ليفكّروا في الكلماتِ الّتي علِقت في أَذهانهم منها ويسجّلوها على لوحةٍ صفّيّةٍ كبيرةٍ.

أَمّا عنِ الصفوف الرابعة حتّى السادسةِ، فكانَت النصوص المنتقاة متنوِّعَة المضامين يغلبُ عليها الجانر الشعريّ. اخترنا في هذا البابِ قصائدَ مختلفةً لشعراء وأُدباء فلسطينيّينَ أَغنونا بكلّ ما نظموا وأبدعوا. ابتدأنا البابَ بالتغنّي باللُّغةِ العربيَّةِ مع الشاعرِ حليم دموس وقصيدتِهِ لا تَلمني في هواها، فنحنُ إن أحببْنا لُغتَنا لنا أسبابنا فهي لُغةُ التنزيل الكريم. كذلك أعطيْنا شعراء فلسطينيَينَ آخرين حقَّهم كما الشاعر راشد حسين في قصيدته في التغنّي بعكّا وعنوانُها «عكّا والبحرُ» فالمكانُ جزءٌ من الكيان، إذا عرفَ الإنسانُ قيمتَه، اعتزَّ بالانتماء إِلَيْه. اعتنَيْنا كذلك بإفساحِ مجالٍ لقصائدَ أُخرى وردَت في مجلّاتٍ أدبيّة مرموقة كمجلّةِ مواقف. اخترنا منها للشاعرِ جورج فرح قصيدةَ «لماذا» والّتي يُعالجُ فيها موضوعًا اجتماعيًّا نُكمِلُ عبره ما ابتدأناه في قصيدةِ الشاعر محمود مرعي في البابِ الأوّل.

في هذه المرحلةِ العُمريّة بالذاتِ، ومع بداية تكوّنِ شخصيَّةِ الطالبِ، اخترْنا أَنْ تكونَ هناك نفحةٌ من الوطنيَّة والّتي برزَت في قصيدة «منتصب القامةِ أَمشي» لشاعرِنا الكبير سميح القاسم والتي غنّاها مرسيل خليفة، فكانَ منَ الأسئلة في هذه القصيدةِ الكناياتِ، الاستعاراتِ وغيرها من المُحسّناتِ البلاغيّةِ الّتي أَفرزَتِ المعنى الوطنيَّ الجليلَ فيها. أمّا النصوص المتبقيَّة فقدْ تمحوَرت حول مواضيعَ اجتماعيّةٍ ومدرسيَّةٍ كما قصيدةِ يومِ المعلِّم للشاعرِ مفيد قويقس وخَواطرَ أَدبيَّة كنصّ الزيتونة للكاتبةِ الفلسطينيَّةِ نجوى قعوار فرح بوجهٍ نسائيٍّ يُفسُح المجالَ لصوتِ المرأةِ الفلسطينيَّةِ الّتي تُحاورُ كونَها وتمتزجُ معَهُ. وفي رحلةٍ إلى حيفا، معنى الاسمِ ومعالمِ المَكان أَخذَنا توفيق فيّاض في خاطرةِ «حيفا والنّورس» الّتي أَعدَّتها مشكورةً المربيَّة أَحلام دانيال وقد سلّطَت الضوءَ حول مفهومِ الكلمةِ حيفا وما دار من صراع نفسيّ لدى شخصيّةِ الحفيدةِ حيفا. بين حيفا المدينة وحيفا الإنسان، قصّةُ وطنٍ وهويَّة، لغةٌ ثائرةٌ تريدُ البقاء رغم كلِّ حجر عثرةٍ يمرُّ . هي حقيقةٌ تقولُها الكتبُ وتخطُها الذاكرة، واقترحنا عبر الحقيبةِ أَنْ نسبرَ غورَ الحقائقِ التاريخيّةِ أيضا فاخترنا نصّا تاريخيّا مقتبسا من كتاب المؤرّخ د. جوني منصور «حيفا الكلمة التي أَصفحت مدينة».

لم نردِ البقاءَ على وتيرةِ عملٍ واحدة، يكونُ مركزُه معلّمي اللُّغةِ العربيّةِ، بل أردْنا أن تكونَ هذه الحقيبةُ أكثرَ شموليّة فتُفيد المربيَّ، معلّمَ التاريخِ أو الجغرافيا في حصصِ إثراءٍ وفِكرٍ وطنيّ نُربّي الأجيالَ عليهِ. لذلك أضفْنا إلى الحقيبةِ مهامَ تربويَّة منها ما يعتمد على صورٍ كاريكاتيريّةٍ وأُخرى على قصائدَ مغنّاةٍ وطنيّةٍ، ولِلمُعلّم أو المعلّمةِ مساحةُ بناءِ الدرسِ والتفكيرِ في إضافاتٍ تربويّة بالاعتماد على مطاليبِ كلِّ وحدةٍ من هذه الوحدات التربويّة.

أمّا عن البابِ الثالثِ، والّذي خُصِّص للصفوفِ السابعة حتّى التاسعةِ، فقدْ ابتدأناه بقصيدةٍ ثوريّةٍ بعنوانِ «أُحبّ ولكن» للشاعِرِ الرَّفيقِ «توفيق زيّاد». يُقصَدُ عبرها حثّ الناشئةِ على العطاء المُجتمعيِّ الّذي لا حدودَ له وليس ما يختصِرُهُ طالما تحلَّى الإنسانُ منّا بشعورِ الانتماءِ لأَهلِهِ وناسِه. اعتنَتِ النصوصُ الأُخرى بثيماتٍ أدبيَّةٍ حولَ الانتماءِ اللُّغويِّ والشعور باللُّغةِ بكونِها وحدةَ عقلٍ وشعور على حدّ قولِ الكبيرِ أَدونيس، كما في نصّ «اللُّغة العربيّة بلا معلّم» لإبراهيم المازنيّ. وثيماتٌ فكريّة وطنيّة ليست تُجَسَّد دونَ الكبيرِ درويش وراوئعِهِ وقد اخترْنا مقطعًا من قصيدتِهِ «الصُّمود»، فَنحنُ معَهُ نؤكّدُ أنّ الأرضَ، الفلاحَ والإصرارَ أقانيمُ ثلاثة ليْستْ تُقهَر. وإنَّنا لسنا ننسى كُتّابَ الأَدبِ الفلسطينيِّ الّذي يتغَنّى بالحضورِ الإنسانيّ النافعِ تماما كما قصَب السُّكّر في نصّ يؤكّدُ عبره الأديب يحيى يخلف أَنَّ النفعَ الذي يُقدّمُه الإنسانُ لمجتمعِهِ هو الّذي يصنَعُ معنى لحياتِه.

وعن الأدبِ العربيِّ عمومًا، كانَت لنا وقفة ذهبيّة مع وحدةٍ تعليميّة أَعدَّتها مكشورة الدكتورة سماح صفوري خوري حولَ نصَّ «النمور في اليومِ العاشرِ» وقد اغتنت هذه الوحدة بنظريّات أَدبيَّة أرفقَتْها دكتورة سماح إلى الوحدةِ كنظريّةِ اللّا-بطل الّتي أَوْسَعها بحثًا البروفيسور الفاضل إبراهيم طه. ونحنُ بهذا نُفسِحُ المجال لتعزيز الفكر النقديّ والتحليليّ لطلّاب الصّفوفِ السابعةِ حتّى التاسعةِ. فنغرس فيهم دعائمَ الناقدِ المثقَّفِ الواعي لكلِّ تغيير مُجتمعيّ قَد يغيِّبُ أَحيانا ملامحَ هويّتِهِ وعزّتِهِ بانتماءاتِه.

أضفنا كذلك في هذا البابِ مهمّاتٍ تعليميّةً حول أصولِ تسمياتِ البلدات العربيّة ومَهمَّة حول الأَمثالَ الفلسطينيّة الآخذةِ بالاندثار والتلاشي. وإذا نظرنا بشكلٍ عامٍ إلى مواضيعِ الحقيبةِ وجدنا أَنَّ غالبيَّتَها مواضيعُ مهمَّشةٌ منَ المناهِجِ الدراسيَّة. لذا أَردْنا أَنْ تكونَ هذه المضامينُ متنَ حقيبةٍ أخذَت منّا عامًا من العملِ الدؤوبِ لتصبِحَ لكم زادَ الطريقِ في سنواتِ التعليم القادمة. كلُّنا أَملٌ أَنْ ننشِئَ جيلا عارفا بقوّة الشعورِ بالانتماء رغم الغربةِ ومعتَزًّا بلغتِهِ رغم أَنفِ كلِّ من يجور بحقِّها.

دعوني أَختَتِمُ بذكرِ موقفٍ، لربّما يكونُ الأَمقتَ على الإطلاقِ في سنواتِ التدريس القليلة التي قضيتها في الحقلِ المدرسيّ لكنْ لكم منه أَنْ تأخذوا العبَرَ. فكم من مرَّةٍ بعدَ أَنْ أَنْهيَ إعرابَ مقطعٍ أَدبيٍّ أَو جملةٍ في إحدى حصصِ القواعد أُفاجَأ بسؤالِ أَحدِ الطلّابِ يقوله دون تجميلٍ أو فصاحة: «ليش يا معلمتي منتعلم عربيّ؟! شو بعد في حاجة للعربيّ؟» وهُنا أَقفُ صامتة للحظة كاظمة غيظِي الإنسانيّ، مستلهمة قوّة المعلمِ الصامد... فأُجيبُ كما أَجبْتُ دومًا بلسانِ العميقِ محمود درويش :

« هذه لغتي

أنا لغتي. أنا ما قالت الكلمات:

كنْ جسدي، فَكُنْت لنَبرِها جسدًا».

رئيس مجلس كفرياسيف المحلي

يتقدم بأحر التّهاني وأجمل الأماني

لأهالي كفرياسيف

وإلى الأمتين العربية والإسلامية وجميع المحتفلين

بمناسبة حلول

عيد الأضحى المبارك

اعاده الله على الجميع بالخيروااليمن والبركات

وقد حل السلام والاستقرارفي ربوع بلادنا

كل عامٍ وأنتم بخير

شادي شويري

رئيس مجلس كفرياسيف المحلي

فَخّ الدِّين السِّياسِي،
مَعْركَة خَاسِرة

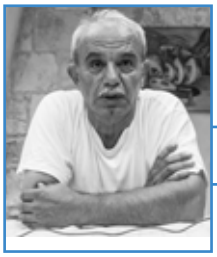

بقلم: راضي شحادة

«أليست صدفةً فريدةً من نوعها أنّ الجميع يتبعون دينَ آبائِهم، ودائما ما يتصادف أنّه الدين الحق؟» ريتشارد دوكنز.

«جميع الحروب التي خاضتها البشرية، والتي أدّت الى إبادة ملايين البشر، جاءت في زمن الدّيانات التوحيديّة» فراس السّوّاح

لا أظنّ أن أيّ عربيّ في فترتنا هذه لا يساوره الشعور بالإحباط، ولو لبعض الوقت او لكثيره، بسبب ما آلت اليه أحوالنا الوطنية والقومية من ارتباك وضياع، ويصل بنا الأمر أحيانا الى درجة جلد الذات والتنبّؤ بأنّنا ربما نكون على حافة الإبادة والانقراض؛ ورغم ذلك أقول إنّ التاريخ لا يُقاس هكذا، فالتجارب التاريخية والعلمية تُثبِت أنّه في النهاية لا بدّ للنَّهر أن يعود الى مصبّه الأصلي والى جريانه الطبيعي.

بعد تخبّطاتنا المتلاحقة في مشاريعنا القومية والوطنية والاشتراكية، وبعد أن حُسمت معركة الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي لصالح امبراطورية رأس المال المتغوّل، وجد الكثيرون لهم ملاذاً آخر آمناً يلجؤون اليه بالتوجّه بأنظارهم نحو السماء، الى أعلى، لعلّ الفرج يأتي من هناك. هذه العلاقة العمودية مع الأعالي زادت الطّين بلّة وجعلت المتورطين فيها يتعثّرون خلال سَيرهم، لأنّهم لا يُبصرون العَثَرات التي تعترض طريقهم، فهم لا ينظرون الى الأمام، بل مَرّة الى أعلى عموديا، وأُخرى الى الخلف حيث الماضي الذي لا يتغيّر ولا يعود، وفي كلتا الحالتين فهم عاجزون عن بناء شيء لأهل الأرض في مشاريعهم العموديّة، وعاجزون عن جعل الماضي قابلاً لأن يكون حاضراً او مستقبلاً، بل هو غير قابل للتّكرار في زمن يجري الآخرون من حولنا بسرعة البرق الى الأمام، متنافسين من أجل بناء مشاريعهم الدنيويّة الملحّة. ولأننّا كذلك ولأنهم كذلك، فقد أصبحنا كالراعي الجاهل المـُعرَّض في كل لحظة بأن يكون فريسة للمفترِس، فلا هو قادر على قيادة قطيعِه، ولا قطيعه يمتلك وسيلة تحميه من شرّ المفترس. الأنكى من ذلك أنّ معظم هؤلاء الرعيان لعبوا دورا وظيفياً في خدمة المشروع الاستعماري ضدّ شعوبهم، وهو

شبيه لحدّ كبير بمخاتير الشَّعب الذين يختارهم المستعمر لكي يجلسوا على عروش شعوبهم ولا يُسمح لأحد بزحزحتهم او تغييرهم إلّا بأمر من مُشغِّلهم. لقد وصل الأمر الى ذروته عندما استطاع ذلك المشغِّل تجيير خيرات العرب وبِثْرولهم فنعم هو بها، بينما تحوّلت تلك الخيرات الى نقمةٍ على الشّعوب العربيّة بدلاً من أن تكون أكبر نعمة ننعم بها.

لسنا بحاجة للوعظ الى حقيقة جليّة يلاحظها الكثيرون من البشر المتنوّرين عن ديكتاتوريّة معظم المنتهِجين لفلسفة التديّن السياسي وتزمّتهم ورجعيّتهم، وبالأخص منهم المنتهجون للدّيانات التّوحيديّة الطّاغية حالياً، لما بها من وسيلة تجد فيها السّلطة السياسيّة أداةً لخدمة أهدافها في تحييد الشّعوب والبشر عن الوصول الى الوعي وإعمال العقل، بحيث تقف أمامهم عائقاً، بالإضافة الى عوائق أخرى، تمنع أصحاب الفكر من أن يقودوا المسيرة من أجل الوصول الى نظام حكم عادل وأخلاقي، يكون الإنسان فيه هو الأهم، بحيث يُعطَى حرّية التّعبير والإبداع والاختراع والاكتشاف والتّطوّر والحياة الرَّغدة والمريحة، وصولاً الى الاشتراكيّة الحَقّة، بعيدا عن ديكتاتوريّة الغيبيات وعصر الغاب والاستغلال والاستعمار والحروب.

مَن يريد أن يَتَقرَّب من خالِقه فهو ليس بحاجة لواسطة او وسيط من قبل اي حزب او فَقيه او قِدِّيس لكي يعظ له بذلك، لأنّ الواعظ يطمح دائما أن يكون محامي الله ونائبَه على الأرض، فيضطر المؤمن الى اللجوء الى الاجتهاد وإعمال الفكر أفقياً، بدلاً من العبادة العموديّة. علينا السَّعْي من أجل جعل العلاقة الأفقية بين البشر هي الطّاغية، ويجب إبعادها عن التّحزبات الدينيّة التي تَستغل العبادة العاموديّة من أجل التسلّط على البشر أفقياً.

في عالمنا العربي الذي نطمح ونحلم أن يكون مَدنياً علمانياً معاصراً، والذي من المفروض أن يوحّدنا، تبقى حريّة الإيمان مسألة شخصية تخصّك وحدك؛ لك الحرية في أن تمارسها، ولا يحقّ لك إدخالها الى مناهج حياتنا اليوميّة التعليميّة والدنيويّة والوطنيّة، حيث أنّ ما يجمعك مع أبناء شعبك وعالمك العربي هو الوطن، وليس التّحزّبات الطائفيّة والدّينيّة.

****

إنّ العودة الى تاريخنا بأصوله الدّينية سياسياً وفكرياً، وبأثر رجعيّ، يضيّعنا ويضيّع الدّين، لأنّ قوة الدين، إذا كان مرتكزاً على الإيمان بشكل فرديّ، تكمن في إعطاء الفرد حريّة التّفكير عمودياً، وبإتاحة حرية الإيمان الفردي له، وعدم السّماح للدّين والمسِّيسِين له بمواعظهم، بالتّدخل في شؤون الوطن ودساتيره وتحزّباته الدّينية المفرِّقة بين البشر. الدين السّياسي بمجمله لا يضمن للبشر نتائج تجعلهم قادرين على تَخَطِّي تقدّمهم الحالي والمستقبلي، لأنّها تَصرف الكثير من الطاقة في عالم الغيب أكثر من التفرّغ لإسعاد البشر على الأرض، وحلّ مشاكِلهم الدّنيوية، لكي نضمن لهم حياة ملؤها العلم والاختراع والإبداع والتّقدم والسّعادة والصحّة والمساواة والعدالة، وكل ذلك مرتبط في جوهره بالسماح للبشر بإعمال عقولهم بكامل الحرية والوعي والتّحرر والإبداع.

التَّدَيُّن السّياسي بشكل عام يتعارض ومسألة حرّية الانفتاح الفكري، لما يتضمنه من تدخّلات قمعيّة وتحزّباتيّة غيبيّة وأسطوريّة، غير متَّفَقٍ عليها وعلى مصداقيّتها بين أغلبيّة البشر على أنّها وسائل ناجعة

ونافعة لحياتنا الدنيويّة. إنّ التَّوجه الوطني والقومي والأممي العصري فيه علاقة أفقيّة بين المجموعات البشرية أكثر ضمانا لهم من أجل تسهيل حياتهم الدنيوية، ويفسح المجال أمام الجميع للمساهمة في التطور البشري والعلمي بشكل متساوٍ وعادل.

إنّ توريطنا في التّديّن السّياسي وجعْله دستوراً لحياتنا الدنيويّة، بدلا من اعتباره مسألة متعلقة بماورائيّاتنا، جعلنا فريسة للموروث الدّيني والاجتماعي الأصولي والبطريركي، ولعبةً ولقمةً سائغةً في فم المستعمرين وأصحاب الفكر الدّيني المتشدّد، وقَوّى المسيحية الصهيونيّة ضدّنا، وهي شكل خطير من أشكال التّديّن السياسي، وجعل الدين الإسلامي السّياسي يضيّع بوصلتنا القوميّة والوطنيّة، ما أدى الى شبه ضياع لقضيّتنا الفلسطينيّة والعربيّة، بسبب تحريفهم للبوصلة وجعلها قضيّة دينيّة إسلاميّة من طرفنا، وجعل القضيّة الصهيونيّة الاستعماريّة قضيّة يهوديّة عبرانيّة توراتيّة من طرف الاحتلال الصّهيوني والصهيونيّة المسيحيّة، وبالتالي فقد امتدّ هذا الضياع الى عالمنا العربي، الذي اعتبر التديّن السياسي امتداداً للمدّ الإسلامي الذي زاد من ضياعنا ضياعا وتَشتُّتاً.

في حال دخلنا هذه اللعبة، او في حال أُدخلنا المستعمرون فيها، فإننا حتماً سنقع في فخّ وَضْعِنا بين خيارين لا ثالث لهما، وهما معتمدان على التّساؤل الذي جعلونا لا نفكّر الّا بهما، وأنّ الحلّ الثالث غير مطروح، لا كبديل ولا هو مطروح حتى للتّداول او للنّقاش او حتى للتخطيط من أجله، وهذان التَّساؤلان يحومان حول: مَن أصدقُ تاريخياً هذا الدين ام ذاك؟ وهكذا تضمن لنفسها الصهيونيّة العالميّة كسب المعركة، لأنّ مبرّراتها في الأسبقيّة الدينيّة أقوى من حُجَجِنا. سيشجّعوننا على اعتناق هذه الأفكار لأنّها في نهاية المطاف ستصبّ في خزّان مصالحهم، فسيقولون لنا أنّ الدّيانة اليهوديّة جاءت قبل الإسلاميّة وأنّ المسيح أصله يهوديّ، وأنّ الدين الإسلامي متأثرٌ، وبعض الأحيان ناسخٌ للكثير من نصوص الديانتين اليهودية والمسيحيّة اللتين سبقتاه، وأنّه إذا كانت إسرائيل دولة محتلة، فالمسيحيون الصّليبيون كانوا محتلّين، والمسلمون سمّوا احتلالاتهم غزوات وفتوحات. إنّ رَبْط قضايانا بالمرجعيّات الدّينية سيجعل الدين السّياسي هو المهيمن، بينما رَبْط قضيّة الاستعمار الصهيوني بتاريخ الدّين اليهودي القديم، وانجرارنا خلف هذا النّوع من التفكير المزيِّف للتّاريخ وللسياسة وللجغرافيا، جعلنا نقع في فخّهم الخبيث. توجّههم على هذ الشكل هو في الأصل ليس دينياً او إيمانياً، بل هو سياسي استعماري محض مرتبط زمنياً بتاريخ وجود الحركة الصهيونيّة، بدليل أنّ من أسّسوا للفكر الصهيوني هم مستعمرون جاؤوا من الغرب، وجميعهم بلا استثناء كانوا علمانيّين وليسوا متديّنين، ولا شيء يثبت أنّهم ذوو صِلة بيهود شرقنا، ليس بالدّين وليس بالجينات.

هنالك سياسة استغفال مبرمجة ومكثفة وطويلة الأمد تنتهجها سلطات الدين السياسي، فتصبّ في خدمة سلطات الحكم العُليا المتحكِّمة بحياة البشر. مئات من الفضائيّات ووسائل الميديا المختلفة تساهم بكل اجتهاد في عملية غسل تامّة للأدمغة، وتنفق من أجل ذلك مليارات الدولارات، وهذه السّياسة المنتهجة تبدأ من مناهج التّدريس منذ المراحل الأولى للطفولة وتمتد حتى المواعظ المكثفة لملايين البشر من خلال المساجد والكنائس، بحيث تتمّ عمليّة إقناع البشر بضرورة العودة الى الماضي المجيد والطاهر، وتحذّر من خطورة نبذ التراث او انتقاده، لا بل يتمّ الوعظ عَلناً بعدم ضرورة إعمال العقل، فالماضي،

تتقدم شركة مياه الجليل بأحر التهاني القلبية بحلول

عيد الأضحى المبارك

أعاده الله علينا بوافر الصحة وقد تحققت امانينا بالسلام العادل والمساواة التامة

كل عام وانتم بخير

بإحترام

مصطفى أبو ريا

مدير عام شركة مياه الجليل

هنادي عاصلة

رئيسة مجلس إدارة الشركة

حسب رأيهم، فيه كل الحلول والرّموز التي تنبئ بكل ما يمكن للإنسان أن يصل اليه من علوم وأفكار. إنّه التفكير بالمطلق وليس بالجدليّ والنّسبيّ، وبما هو قابل للتغيير والتطور بناءً على حاجات البشر الدّنيوية الملحّة او الضرورية. ومن أجل التّخلّص من هذا المأزق الذي يُشنِّجُنا ويكبّلنا، فهنالك حاجة ملحّة لتغيير برامج وأساليب التّعليم من جيل الصفر حتى الاكاديميّات، وفصل الدين عن الدّولة، وهذا المطلب لن يتحقّق الا بإرادة قويّة وبقرار ثوريّ حاسم، وكل ذلك بدوره يتطلب ثورة علميّة وفكريّة من أجل إحداث هذا التّغيير الجذري.

****

إنّ محاولاتنا البائسة واليائسة من أجل إعادة اجترار الماضي التراثي وجَعْله حاضراً ومستقبلاً، متوهّمين أننا بذلك قد نتغلّب على مَن لا ينتهج طريقنا من البشر الذين يخطّطون للمستقبل بسرعة فائقة، وينفّذون بحذق ومهارة، جعَل هؤلاء المخططين المجتهدين الأذكياء يعتبروننا مخلوقات مستهلِكة لمنتوجاتهم ولفكرهم ولعلومهم ولاختراعاتهم. استطاعوا بدهاء أن يجعلوا منّا قطيعا يقودُه راعٍ يظنّ أنّه قائدٌ لقطيعه، بينما هو في الحقيقة يشبه قطيعه، لأنّه لا يتعدّى كونه لقمة سائغة في فم المتأهّب لافتراسه هو وقطيعه بدون أن يجد لنفسه أية وسيلة لحماية نفسه، لأنّهما، اي القطيع والرّاعي، مخْتَرَقَان ذهنياً وأمنياً وجغرافياً وتاريخياً.

أكبر دليل على خطورة استعمال تاريخ الدين السّياسي كتحرّك مبدئي وعقائدي وكوسيلة لبناء المستقبل باللجوء الى التراث الديني وأساطيره، هو تمكُّن العالم الاستعماري المتطور علمياً عبر ثوراته التاريخيّة المتلاحقة بالتدريج، بناءً على تقدمه الفكري والعلمي، منذ الانتقال من مرحلة الاقطاع الى الرأسمالية الحديثة ومحاولة بناء نظام اشتراكي، مروراً بالثورة الصناعيّة وثورة المعلومات، هو تمكّنه من استغلال أولئك المتشبّثين بالتراث المتحَفيّ القديم، بشكله الجامد والرّجعي والتّراجعي، بهروبهم الى الأمام من خلال رجوعهم الى الماضي المتجمّد دون الانتباه الى ضرورة أخذ الوجه الضروريّ من ذلك التراث وليس نَسْخهُ كما هو وتقليده. لقد حَثّ ذلك الاستعمار هؤلاء على انتهاج الدّين السّياسي خدمةً لمصالحه منذ فترة تحويل الكنيسة الى سُلطة دينيّة، وانتقالاً الى تجنيد السّلطة السّياسيّة الإسلاميّة للحرب بالنيابة عن الاستعمار في أفغانستان، وصولا الى قمّة هذا الاستغلال لهذا الهدف في حثّ هؤلاء على تأسيس الحركات الإرهابية التي تُستعمل وتُستَغلّ من أجل تحطيم العالم العربي، محاولةً إبادتهُ أو نزْع صفة حضاريته عنه وتشويه تاريخه ورموزه، وتحويل الصراع الوطني والقومي الى صراع ديني لا يؤمن بالوطن وبالقوميّة العربيّة. لن يكون هنالك تحرّر قومي ووطني بدون تحرّر فكري. إنّ الاتّجاه القومي يضمن الاتحاد والوحدة، وهو التّوجّه المضمون للمرحلة القادمة؛ وحدة اللّغة والجغرافيا، وتوحّدنا حول الأكثر مشتركاً بيننا.

إنّ وقوعنا في فخّ البحث عن مصداقية وأحقية دين على آخر بناء على مرجعية دينية تراثية مزيِّفة للتّاريخ عبرانياً، مسيحياً او إسلامياً على حدّ سواء، هو هو ما جعلنا نُضيِّع البوصلة ونفقد الطريق. عالمنا العربي بالتأكيد يمرُّ الآن مرحلةً هي قمّة في الانحطاط، ولكنّنا، كما علَّمَنا التاريخ، لا بدّ من النهوض من كبوتنا، وإذا لم تكن معاركنا حاسمة في المرحلة الحالية، فبالتأكيد سيتم ذلك في المرحلة

القادمة، لا بل هنالك بوادر طفيفة بأنّ التغيير قد بدأ، ومن يقول غير ذلك فهو يؤمن بفلسفة جلد الذات والوعظ بأنّنا مقبلون على الانقراض.

من المنطقي التّفكير والتّخطيط من أجل إتمام فترة تحرّرنا القومي أوّلاً، وليس تحرّرنا الديني الذي يُضيِّع مجهودنا خلال محاولاتنا التّحرر قومياً، وليس فيه من المنطق والمبرّرات التاريخية الكافية لضمان النّصر، بل هي معركة خاسرة على المدى القريب والبعيد. ومن أجل التّفكير لاحقاً، أو ابتداء من الآن، علينا التّخطيط لمراحل تطوّر جديدة حالياً ولاحقاً، لكي تُشكّل أساساً لانطلاقة جديدة نحو تحرّرنا الاشتراكي ومن ثم الأممي، والذي سيشكّل تطوّرا تاريخيا منطقيا لتقدّمنا المستمر.

* راضي شحادة- مسرحيّ وكاتب وروائي فلسطيني.

نتقدم بأحر التهاني واسمى التبريكات

بمناسبة حلول

عيد الأضحى المبارك

اعاده اللّه علينا وعليكم باليمن والبركات

الغد الجديد

أَلبصّة

الحلقة الثانية والاخيرة

محمد نجيب حسين

البصّة كان لها مقوّمات مدينة:

تتحوّل قرانا العربية الى مدن، وتعترف السّلطات الإسرائيلية بهذه القرى بعد أن يصل عدد السكان فيها الى 20 ألف نسمة، إضافة الى المؤسسات المتنوعة داخلها والبنى التحتية من شوارع وصرف صحيّ وغيرها.

وقد اعترفت السّلطات بعدة قرى وحوّلتها إلى مدن، ولكنّها بقيت قرى كبيرة ليس لديها أي مقومات للمدينة، وإذا عدنا ثمانين سنة للوراء نجد أنّ قرية البصّة لها جميع مقوّمات المدينة المتحضّرة وربما تكون افضل من كل القرى في دول العالم الثالث في تلك الفترة.

هذه القرية التي استطاعت أن تتقدم بخطوات سريعة باتجاه التقدم في شتّى المجالات، واستطاعت ان تبرز كطفرة نحو الامام بالنسبة لقرانا العربية .

مضى عام 1866 أُنشئ فيها مجلسٌ محليّ يرعى شؤون القرية وكان دخله السنوي بذلك العام 121 جنيهًا فلسطينيًا.

وعندما حل عام 1944 ارتفع الدخل 1407 جنيهات. لقد صُرفت هذه المبالغ الباهظة في ذلك الوقت على إيصال وتزويد البيوت بالمياه عن طريق إنشاء شبكة قنوات، كما قام المجلس بمساعدة المزارعين باتباع دورة زراعية وجلب خبراء لإرشادهم، وتنظيم العمل الزّراعي في مراحله المتعددة، كما عُيّن نواطير لحراسة المزارع المترامية الأطراف .

إضافة لذلك فقد شيّدت في العهد العثماني عام 1886 مدرسة ابتدائية للبنين في الوقت الذي تعلم ابناؤنا في قرى أخرى في المساجد او الكتّاب، وبعد خروج العثمانيين الاتراك من بلادنا جاء استعمار أكثر عداوة واستغلالًا للشعب الفلسطيني، فقد أنشأت في هذه الفترة مدرسة أُسقفية تطوّرت مع الزمن الى مدرسة ثانوية دُعيت كلية الرباطة الوطنية وكانت تابعة للرّوم الكاثوليك،

وقد ساهم في بنائها ورعاها طيّب الذكر المطران اللبناني الأصل جورجوس حجّار، وقد دافع عن حقوق الفلسطينيين مسلمين كانوا أم مسيحيين وساهم في إقامة العديد من المدارس والكنائس في المنطقة الشمالية، وهو مدفون في كنيسة السيدة في حيفا .

هذه المدرسة التي تحوّلت إلى كلية وجذبت العديد من طلاب العلم من الجليلين، حيفا، عكا، صفد والحولة. كان لها جناحٌ خاصٌّ لإيواء الطلاب القادمين من أماكن بعيدة. الى جانب مدرسة البنين هذه كان لها مثيلة للبنات وقد تخرج العديد من المثقفين الذي انارو العلم في قراهم، الى جانب ذلك فقد أنشأ البصّيون مدرسة ابتدائية مستقلة للبنات، ومدرسة ابتدائية حكومية.

إضافة لهذه المدارس اقام بعض السكان اثني عشر مطعمًا ومقهى وكان أحدها على مفرق البصّة –الناقورة في منطقة المشيرفة القريبة من البحر.

وقد ذكر الأستاذ نعيم مخّول بأنّه في سنوات الأربعين دعا مدير المدرسة الثانوية الأستاذ سليم عطا الله ذياب فرقة عميد المسرح يوسف وهبي وأمينة رزق لمأدبة غداء عندما كانوا يقدمون عروضهم في سينما "عين دور" في حيفا.

ومن النّشاطات الثقافية والرياضة أقام البصّيون ناديين احداهما اهتم بالمسرح والثاني بالألعاب الرياضة، ومن اللافت للنظر ان اول طيّار فلسطيني حلّق في الفضاء كان ابن رئيس المجلس المرحوم جبران توفيق جبران، إضافة لذلك ففي حين لم يجد المواطن مكانًا يؤويه اقام الخياط فندقًا لإيواء الغرباء والوافدين ما زال قائمًا.

ما تبقّى من بيوت البصّة :

يذكر أن الجيش الإسرائيلي والعصابات الصهيونية كانت تحاصر القرية من ثلاث جهات وترك جهة للهرب والنزوح، وقد تناقلت الأخبار المجازر التي قام بها الجيش في معظم القرى العربية، لذلك عندما دخل الجيش الى البصّة حاصرها من ثلاث جهات وترك الجهة الشمالية مفتوحة لينزح خلالها اهل البصّة الى لبنان، وهكذا قام البصّيون بالمقاومة بما لديهم من أسلحة قديمة وبعض الرصاصات حتّى تمّ الاستيلاء على القرية واحتلالها، ثمّ قاموا بهدم البيوت وتجريفها ولم يبق الا بضع بيوت للعبادة في البصّة وهي: الكنيسة الأرثوذكسية، الكنيسة الكاثوليكية المارونية، مقام الخضر، المسجد، بيت السيّدات الألمانيات وبيت الخوري.

وسنفصل كل مبنى فيما يلي:

بيت السيّدات الألمانيّات:

قرّرت الإرسالية البروتستانتية الألمانية المقيمة في الكرمل إقامة مبنى في قرية البصّة يستعمل كمدرسة او عيادة، كان ذلك عام 1928، وكان الهدف الرئيسي من إقامته تأهيل معلمات لتعليم المكفوفين حسب طريقة بريل من خارج البصّة وداخلها .

قامت هذه الإرسالية بشراء قطعة أرض أقامت عليها مبنى من طابقين وقُسّم الى غرف للسّكن ومدرسة ومكان للصلاة.

أكمل البناء عام 1933 وتمّ افتتاحه رسميًا عام 1938 باحتفال، وبدأ يعمل ويعلّم المكفوفين القراءة. في تلك الفترة اندلعت الثّورة الفلسطينية كردّ فعل على السماح لأعداد من المستوطنين اليهود شراء أراضٍ فلسطينية وإقامة مستوطناتهم بتشجيع السلطات البريطانية، استمرت هذه الثورة مدة 4 سنوات ابتداء من عام ال 36 –حتى 39، وقام الفلسطينيون خلالها بأعمال فدائية ضد الجيش البريطاني والمستوطنات، لذا قرّر البريطانيون إخلاء هذا المبنى ونزوح البعض إلى حيفا والأكثرية منهم الى المانيا.

في بداية الحرب العالمية الثانية أصرّ البريطانيون الالمان ومن ضمنهم السيدتين الألمانيتين أن يجتمعوا في مستوطنتهم "فالدهايم" على اسم قيصر المانيا ويليهانم الثاني الذي زار فلسطين عام 1898 وافتتح عدة كنائس في القدس منها كنيسة الفادي قرب كنيسة القيامة، كما اجبر الالمان الذين ينتمون الى تنظيم الهيكليم טמפלרים مغادرة البلاد الى المانيا .

غادر الألمان فلسطين وبقيت مستوطناتهم شاهدًا على حلم لم يتحقق ومن ضمنها بيت السيدات الالمانيات في البصّة.

من ضمن الأعمال الفدائية التي قام بها الفلسطينيون زرع لغم أرضيّ في أراضي البصّة ثمّ تفجيره عند مرور عربة مدرعة أدت الى قتل 4 جنود بريطانيين.

انتقم البريطانيون لقتلاهم وتمّ حرق القرية واعتقال أكثر من 50 عربيا من سكانها وحسب شهود عيان فقد أجبر قسم من المعتقلين الركوب في عربة ومرورها فوق لغم أرضي أدى الى استشهاد 20 شهيدًا.

وعلى أثر ذلك تمّ إخلاء بيت الستات كليًا وما زال مهملا حتى الآن.

يتكوّن المبنى من طابقين تحيطه مساحة صغيرة من الأرض وأمامه شجرة فيكوس عملاقة، وقد بني من الحجر الجيري وأسقفه من الباطون والحديد، وقد أضيفت الجسور الحديديّة لتقوية السطح وما زالت ظاهرة.

تعليم المكفوفين حسب طريقة بريل

المذهب البروتستانتي:

هدف الإرسالية كان نشر هذا المذهب بين المسيحيين من الطوائف الأخرى وأيضا من المسلمين.

أسّس هذا المذهب مارتن لوتر ومن معتقداتهم:

* الاعتراف والغفران لا يكون أمام رجال الدين بل أمام الله.
* لكلّ مسيحيّ الحقّ في تفسير وفهم الكتاب المقدّس وليس شرطًا تفسيره من قبل رجال

الدين.

* سمح للقساوسة الزواج كأي فرد في المجتمع وقد سمُّوا بالمتجدّدين.

بيت الخوري:

يقع هذا البيت المقنطر إلى الشّمال من الكنيسة الأرثوذكسية وهو آيل للسقوط، ويمنع الدّخول إليه.

يتبع هذا البيت لعائلة الخوري اللبنانية والتي قدمت الى فلسطين في القرن ال 19 واستطاعت أن تملك أراضي امتدت من البصّة شمالا حتى حيفا وضواحيها جنوبًا، وقسم من أراضيها في منطقة مرج ابن عامر وقريتي قيرا وقيمون التي تمّ بيعهما لليهود.

تعليم درس للمكفوفين داخل بيت السيدات الالمانيات

بني هذا البيت على مرحلتين:

الطابق الأول بني على الطراز التقليدي القديم، فقد بنيت الجدران من الحجر الجيري الرّخو ووصل سُمك هذه الجدران الى 50 سم، أمّا الجدران الداخلية فقد بنيت بالحجارة الغشيمة وتمّ قصارتها بمزيج من مادة الكلس والرماد وقطع الفخار.

أمّا السقف فقد بني من جذوع الأشجار ووضع فوقه أغصانٌ رفيعة ثم طبقة من البلان وعليها الطين المخلوط بالتبن والقشّ.

بعد فترة قرّر أصحاب البيت بناء طابق اخر، لذا هدموا السّقف وبنوه بالباطون والحديد والجسور وزيّنت واجهته بالقناطر، كما فتحت شبابيك مقنطرة أغلقت بالخشب والزجاج.

أمّا أرضية المبنى فقد صنعت بالبلاط. يقع هذا البيت ضمن مشروع السلام المُخطط من قبل بلدية شلومي.

هناك رواية أخرى تقول بأن هذا البيت يعود للخوري صالح واكيم ولذلك سمّي بهذا الاسم، والأقرب الى الصواب أنّ هذا البيت يعود الى بيت خليل خوري وزوجته نجلاء اسعد، نظرا لفخامة البيت واتّساعه ولا يعقل ان يكون بيتًا للخوري صالح واكيم؟

مسجد القرية:

يتبع هذا المسجد للأقلية السّنية التي عاشت في القرية حتى عام 1948 وقد هدمت مئذنته بعد الاحتلال وحوّل المبنى الى حظيرة للأغنام وقد قامت لجنة الأقصى المكلّفة بترميم المساجد والمقابر الإسلامية بإغلاقه والمحافظة عليه.

مقام الخضر:

يقع هذا المبنى الى الشّمال من بيت الخوري والكنيسة الأرثوذكسية ويتميّز بقبّته وجدرانه الآيلة للسقوط. هو مبنى مربّع الشكل، له أربع دعامات في زواياه الأربع التي تحمل القبّة، وتمتد القناطر بين هذه الدعامات لتربط جدران المبنى بدعاماته وقبّته. في الجدار الجنوبيّ يقع المحراب وإلى جانبه استعملت بعض الدرجات كمنبر يصعد عليه الخطيبُ أيام الجمعة لإلقاء خطبته. المبنى مهمل، وتظهر السطوح العميقة على جدرانه وقبته، وقد سقطت العديد من حجارته. يتبع هذا المقام للمسلمين والمسيحيين على اختلاف طوائفهم، ويدخل ضمن مشروع السلام.

من هذا الخضر؟

يقول الدكتور شكري عرّاف بانه احصى واحدًا وسبعين موقعًا يحمل اسم الخضر، فمن هو الخضر حسب الطوائف؟

لم يذكر الخضر في القرآن صراحة، بل ذكر بالعبد الصالح الذي لقيه موسى، وكان أوفر علمًا والهامًا، قصّته ذكرت في سورة الكهف.

أما المسيحيون فيعتقدون أنّ الخضر هو مار جرجس / جورجوس الذي خلّص الناس من شرّ التّنّين الذي كان يُقدّم له فتاة لدرء شرّه. ولذا فإنّ هذا القديس ظهر أيام الصّليبيّين على شواطئ بيروت وتم قتل وطعن هذا التّنين برمحه والذي ظهر على حصان ابيض. وهو شفيع المسيحيين، لذلك بُنيت له مقامات وكنائس تحمل اسمه، فهنالك كنيسة الخضر في اللّد وأخرى في طيبة رام الله وبيت لحم، وهنالك جامع الخضر في نابلس ومغارة مقدّسة في ستيلا مارس في حيفا.

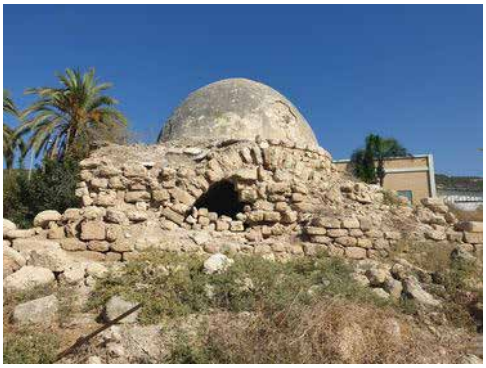

مقام الخضر من الجهة الجنوبية

أمّا اليهود فيعتبرون الخضر الياهو النبي، الياس لدى المسيحيّين الذي قتله بسيفه كهنة البعل وقطع رؤوسهم على جبل الكرمل وله تمثال في المحرقة. إضافة لذلك فقد قَدّس الدروز والشيعة الخضر ولهم العديد من المقامات، مقام الخضر في بانياس في هذه المقامات وصلها كانت تتمّ الزيارات، للتبرّك وفكّ النّذور.

الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية:

تتكوّن هذه الكنيسة من قاعة كبيرة مفتوحة تتّسع لعشرات المصلين، ويرتكز سقفها المقنطر على ثماني دعامات، أربع على زوايا المبنى وأربع في الوسط، السقف هو عقد مصلّب.

بُنيت الكنيسة على الصخر الأم ووضعت أساساتها من الحجارة الغشيمة التي خلطت بالكلس والرمل. أما جدرانها الداخلية والخارجية فبنيت من حجارة الكركار التي قطّعت من السّلاسل الكركارية القريبة، هذا الصخر هو خليط من الرّمل والكلس ويمتد على طول الساحل الفلسطيني، وقد بنيت منه أكثر المدن السّاحلية كيافا وعكا وعسقلان وغيرها ...

الجدران الداخلية قُصرت بالكلس والرمل، والجدران الخارجية بنيت كما هي.

المدخل الرئيسي والشبابيك أحيطت بحجارة الصخر الناريّ، وهو صخر كلسيّ يسهل قصّ وتشكيل حجارته نظرًا لكونه بين الصلابة والرخاوة كما بنيت القناطر الداخلية والمحراب والمدماك، والمدماك الأخير من الجدران بهذه الحجارة.

أرضية الكنيسة رصفت بالبلاط والباطون فظهرت بألوان متعددة وبأشكال فنيّة.

إذا نظرنا الى الجدار الغربي يظهر لنا مدخل الكنيسة الضخم وتظهر أعلاه لوحة حجريّة من المرمر مكتوب عليها:

عمّرهذا الهيكل المقدس

نيافة غبطة البطريك الاورشليمي

بمساعي نيافة ميتربوليت عكا

سنه 1898

ويظهر أعلاها صليب من الحجر الكلسي

سطح الكنيسة بني من الأخشاب والقرميد الأحمر، إذا نظرنا الى الجدار الشرقي الذي تبرز منه الى الخارج حنية الابسيس تظهر الشقوق العميقة في قسم منه، ومن هذه الشقوق تدخل مياه الامطار شتاءً لتتلف القصارة الداخلية، وتضعف الجدران التي ستسقط إذا لم ترمّم في أسرع وقت. كما أنّ المياه تدخل من السطح القرميدي المكسّر وبذلك يزداد التّلف يوما بعد يوم، هناك العديد من الأشجار مثل التين التي تمتدّ جذورها الى أساسات الكنيسة وتساهم هي أيضا في إضعاف الكنيسة.

تتبع هذه الكنيسة لمطرانية الرّوم الأرثوذوكسية، وبعد احتلال القرية حُوّلَت الى زريبة كباقي الأماكن الدّينية، إلاّ أنّ بعض النشطاء أمثال المحامي سليم واكيم قاموا بنقل هذه الأملاك مع الكنيسة الأخرى التابعة للكاثوليك الى أملاك الكنيسة.

وقبل عشرين سنه قام قسم من السكان لأداء العمّاد والأكاليل إلاّ أنّ المستوطنين اعتدوا على المصلّين وحطّموا كاميرات المصلّين لذا أغلقت الكنيسة كليًّا.

ويذكر بعض السّكان أنّ الجيش قام بجمع عدد من الشّبان والنساء داخل الكنيسة بعد الاحتلال، وقام أحد الجنود بقتل 19 شخصا خارج الكنيسة، وقد اعترف هذا الجنديّ بعمليته الإجرامية

وأوصى زوجته بنشر هذا العمل بعد مماته.

الكنيسة من الجهة الشرقية

الكنيسة الكاثوليكيّة المارونيّة:

تعتبر هذه الكنيسة فريدة ومميّزة عند باقي الكنائس في البلاد وخارجها. المبنى متميّز في الشّكل وطريقة البناء، وعندما نرى القباب تعلو أسطح الكنائس نرى في الوسط سطحًا محدّبًا نصف برميل يحمل على أربع دعامات في وسط الكنيسة. المبنى عبارة عن مستطيل يحتوي على ستّ دعامات ضخمة تحمل السطح المحدّب، وعلى الجوانب بنيت العقدات المصلّبة والملاصقة للجدران. في هذه الكنيسة يرتفع الابسيس او الهيكل قليلا عن القاعة الرئيسية ولا يوجد حاجز يفصل القاعة الرئيسية عن الابيسيس كالكنائس الأرثوذكسية.

لم يُعرف سنة إقامة الكنيسة، ولكنّ البعض يقدّر عمرها بثلاثمئة سنة خلّت ...

بنيت الكنيسة من الحجارة الكلسيّة الضخمة ويعود طرازها الى الكنائس البيزنطية. الكنيسة مهملة وبدون أبواب وشبابيك، ويعيش الحمام داخلها، وقد تسقط بعض جدرانها اذا لم ترمم في القريب العاجل. وتقع هذه الكنيسة ضمن مشروع السلام من قبل بلدية شلومي.

مبنى الخيّاط –فندق الخيّاط:

يقع هذا المبنى شرقي بيت السّتات الألمانيات وقد بنيت لهدفين، الطابق السّفلي استعمل كقهوة ومطعم، والطابق الثاني أعدّ كنزل للنزلاء من خارج البصّة.

تقوم البلدية ببناء فندق حديث بالقرب منه .

المدرسة الثانوية الأسقفيّة:

أقيمت مدرسة في أواخر العهد العثماني، وبعد الحرب العالمية الأولى أنشأت مدرسة أسقفية تطوّرت الى مدرسة ثانوية، وقد ضمّت فرعًا داخليًّا للطلاب من القرى المجاورة وأصبحت تدعى كلية الرباطة الوطنية. تبعت المدرسة للروم الكاثوليك برئاسة المطران .... حجاز، الى جانب ذلك فقد كان في البصّة مدرسة ابتدائية للبنات مستقلة ومدرسة أخرى حكومية.

كما أنشأت إرسالية الكرمل الألمانية مدرسة ابتدائية اختصت بالمكفوفين. كان في البصّة مجلس محليّ رعى شؤون القرية، وكانت عشر معاصر لعصر الزيتون، 14 مقهى ومطعم. لم يبق من المدرسة أي اثر وقد أقيمت على موقعها زريبة للأبقار.

مشروع السّلام لا يخدم السّلام:

قامت بلدية شلومي بتخطيط مشروع ضخم على أراضي البصّة العربية، وهو مشروع ثقافيّ، دينيّ، ويضمّ المباني المتبقيّة لقرية البصّة والتي ذكرناها سابقًا.

ومع أنّ المشروع ظاهره السلام وباطنه الظلام جاء ليخدم السكان اليهود من داخل المدينة وخارجها، ألاّ أنّه لا يخدم أصحاب الكنائس ولا يسمح لهم الدخول الى كنائسهم وإقامة شعائرهم الدينية.

من أهداف المشروع:

* تجديد العلاقة بين الديانات الثلاث اليهودية، المسيحية والإسلامية، فالكنيس مفتوح امام المصلين اليهود والكنائس ستبقى مغلقة مع المسجد الذي لا يدخل ضمن المشروع.

فكيف يمكن أن تتجدد العلاقات بين هذه الديانات؟

* ربط هذه المباني على الطريق الذي يقطع البصة الى قسمين رقم 899، ويوصل بين الأحياء الشمالية وقسم من الجنوبية وتطوير المنظر العام وفتح ساحات أمام هذه المباني.
*إقامة أماكن تجارية، حوانيت، مقاهي ومطاعم ومعارض.
* إقامة فندق صغير يأوي القادمين الى المدينة ويكون داخل المشروع وقريبا من فندق الخياط.
* غرف لسكن الطلاب الذين يدرسون في كليه إيرز التي أقيمت على أنقاض المقبرة الإسلامية.
* إقامة مركز فنيّ موسيقي يتداخل مع مركز التّراث حول بيت السّيدات الألمانيات.
* أماكن لوقوف السيارات.
* مكاتب متعددة في الطوابق العلوية من المباني العامة والتجارية، فتح طرق توصل بين هذه المباني.
*غرس أشجار وإقامة حدائق لتجميل المنظر العام.

من اللافت للنّظر أنّ الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية هي أملاك خاصة للكنيستين، وقُدّم المشروع للموافقة عليه من قبل رعاة الكنائس، الا انه رفض بالكامل نظرًا للتمييز العنصري.

وهدف المشروع هو إبقاء هذه الكنائس والمباني العربية نصب تذكارية صامتة لا تؤدي دورها الديني والاجتماعي والتّاريخيّ.

شكري وتقديري للمحامي والناشط ابن البصة سليم واكيم الذي زوّدني بالكثير من المعلومات والخرائط القيمة عن البصة.

وأترحّم على مؤلّف كتاب (المجتمع والتراث في فلسطين) الدكتور يوسف حداد الذي اعتمدت على مادّته في هذه المقالة.

وأشكر كل من كتب وصوّر ووثّق بالكلمة والصورة عن هذه القرية العريقة التي تأبى النسيان.

المعلّم الذي كان ..

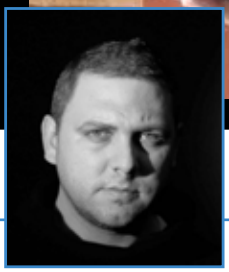

علي قادري

المعلّم والمربّي والموسيقي والمثقّف الأستاذ محمد نجيب حسين (أبو النّجيب) وداعًا

(كلمة الرّثاء التي نشرها الكاتب على صفحته في فسبوك بتاريخ 25.3.2021)

في هذا اليوم الحزين المجبول بالحسرة والفاجعة يرحل معلّمنا أبو النّجيب. أبو النّجيب الذي مثّل جيلاً من المعلّمين أصحاب الرّسالة الإنسانيّة والتقدميّة الوطنيّة في حقبة الثّمانينيّات والتسعينيّات من القرن الماضي وصولاً إلى الألفية الثالثة. وبهذا الرّحيل نفقد علمًا من أعلام المنطقة ونموذجًا للإنسان الذي أحبّ بلده وأهله وشعبه حبًّا جمًّا.

وعلى المستوى الشّخصي أخسر إنسانًا ورفيقًا وصديقًا ومعلّمًا وخليلاً، فبعد خروج أبي النّجيب للتّقاعد، بعد ما يزيد عن ثلاثة عقود من العطاء والخدمة في سلك التّربيّة والتّعليم، بدأ أستاذنا بتجميع وكتابة المقالات والخواطر والإعداد لحلقات تثقيفيّة منذ العام 2010، واكبتها معه وتابعت نشرها وتحريرها في مجلة الغد الجديد الثقافيّة التي أعمل فيها محرّرًا أدبيًّا منذ عقد من الزّمن. وانطلاقًا من هذه القاعدة الثقافيّة توطّدت علاقة صداقة وثيقة بيني وبين المعلّم، صاحب الرّؤيا المجتمعيّة والإنسانيّة الثّاقبة، وصاحب الموقف الحرّ والشّجاع، فكانت تطول بيننا الجلسات والحوارات والتّخطيط لمبادرات ثقافيّة رائدة، فكنّا نحلم سويًّا، نعم كان يحلم وهو على عتبة السّتين، كان يحمل في صدره قلبًا جامحًا، يسبح عكس التّيّار ويغرّد خارج السّرب، يغضب ويثور، يفرح ويحزن ويتألّم لمعاناة شعبه، ويسرد التّاريخ ويحوّط الجغرافيا، جغرافيا النّكبة على طول البلاد وعرضها. كنت أطوّف معه وأنا إلى جانبه في صالون بيته، فلا الجدران اتّسعت للحلم ولا نظم قصائده كانت لتحمل أحلامه.

لقد كنّا إلى جانب أبي النّجيب وكان إلى جانبنا في فرع الحزب الشّيوعيّ والجبهة والشّبيبة في

نحف، فكان الصّديق السّياسيّ، ورفيق الخطّ، فلا يترك محاضرة أو ندوة أو مظاهرة أو مهرجانًا انتخابيًا إلا ويكون في الصّفوف الأماميّة بكلمة أو خطاب أو مداخلة أو قصيدة، ليقول كلمته في كلّ معركة على الموقف التّقدّمي الحرّ، وليكون لنا الموجّه والمستشار والدّاعم والمرافق لنا في جولاتنا مع الشّبيبة إلى القرى المهجّرة في الجليل والسّاحل، في الشّرق والغرب. لقد كان أبو النّجيب ينظر بعين الحرص إلى تثقيف الشّبيبة وتقعيد دعائم الانتماء الوطني، وكان حريصًا على نقل روايتنا الوطنيّة إلى الأجيال، فلم يبخل بجهدٍ أو وقت أو سؤال أو معلومة، وكنّا نحن في هذا البيت السّياسيّ نشعر أنّنا بأيدٍ أمينة، فنحن في حضرة موسوعة في الجغرافيا والتّاريخ والأدب، فكان السّارد والرّاوي الذي يتحدّث من حنجرة اللاجئ والمهجّر وصاحب البلاد.

جمعتني بأبي النّجيب حلقة ثقافيّة وفنيّة أخرى، ففي العام 2011 كان قد أطلق هو ومجموعة من الفنانين المحليّين مبادرة فنيّة لا زالت مستمرّة إلى يومنا، فكان لقاؤنا كلّ خميس من كلّ

أسبوع، وقد تشكّلت المجموعة من الأخوة الفنّانين: خالد نجيب حسين (شقيق المرحوم)، زهدي قادري، قاسم خلايلة، جمال عطوة السّيّد أحمد، كيان ظاهر، علي شباط، وأخوة آخرين كانوا يشاركوننا هذا اللقاء بين فينة وأخرى.

كان أبو النّجيب هو ضابط الحلم، يصل إلى المركز الثقافيّ حاملاً آلته الموسيقيّة، العود والكمان، يبدأ الغناء بباقة من أغاني الزّمن الجميل، يدهشنا بصوته وبُحتّه الشّجيّة، تعانق روحه الأوتار حتّى تصدر منها الألحان التي كانت تطربنا وتطرب رفاقه وأصدقاءه الذين كانوا يحلّون ضيوفًا علينا من سخنين وعرّابة ودير الأسد ومجد الكروم والبعنة وقرى أخرى. فكان السّهر والسّمر، وكانت الدّردشة في الفن والموسيقى والثقافة والغناء، وكان يرى بهذه الحلقة جوابًا قاطعًا لسؤال العنف والجريمة الملحّ، فلا يمكن بالنّسبة له أن يرى مجتمعه غارقًا بالجريمة ويقف مكتوف الأيدي، ولهذا فكان يدعو الشّباب والصبايا للمشاركة في هذه الحلقة الفنيّة على الدّوام.

لم يبخل أبو النّجيب يومًا بتقديم النّصيحة أو المشورة أو الدّخول في مساعي الإصلاح وردء الصّدع في كلّ قضيّة كان يعرفها، ولي بصحبته في هذا المجال قصص وحكايا كثيرة. وكم كان يمقت الجهل والجاهلين، ويرى أنّ التّخلّف يسكن بين ظهرانينا، ولا حلّ مع التّخلّف والجهل إلاّ بزرع بذور المحبّة ونزع شوك البغضاء بالثّقافة والعلم والفنّ والأدب.

صديقي ورفيقي ومعلّمي أبا النّجيب

لا زلتُ غير مصدّق بأنّك لست بيننا، بالأمس فقط، كنت تتحدّث إليّ وتسأل قلقًا عن نسبة التّصويت، وتطالبنا بحثّ النّاس بالخروج للتّصويت، وكان يبدو من صوتك خوفك على مضاعفة قوّة العنصريّين والفاشيّين.

لا زلتُ غير مصدّق، وقد التقينا الخميس المنصرم وقد أحضرت لك العدد التاسع والثلاثين الصّادر من مجلّة الغد الجديد، والذي ضمّ مساهمتك الغنيّة في الدّراسة التي أجريتها حول قرية البصّة المهجّرة، وكم كنتَ منفعلاً حين رأيت صورة كنيسة البصّة المهجّرة تزيّن غلاف المجلّة.

في هذا اليوم المتّشح بالسّواد، يرحل عنّا أبو النّجيب هو وشقيقته المرحومة «صالحة» في حادث طرق مروّع وهو في طريقه لزيارة والدته الراقدة في مستشفى صفد هذا اليوم. يرحل أبو النّجيب مخلّفًا وراءه إرثًا إنسانيًّا ووطنيًّا في قريتنا نحف وفي المنطقة.

نتقدّم بأحرّ التعازي للزوجة أم النّجيب وللأبناء نجيب ووليد وللبنات والأحفاد ولكلّ العائلة النّحفيّة.

وداعًا أيّها المعلّم ورحمك الله وغفر لك وأسكنك فسيح الجنان

رفيقك الأسيف

علي قادري

اللبنانية بيزيدوا ع التبولة
بَنَاادووووورة

بتركيا بيخلطوا البرغل الناعم
بِمَيِّة البندورة

أمّا تبولة بلادنا مع برغل ناعم نخلة

بِهالبَساطة؟!! بِهالزكاوِة.